

المملكة العربية السعودية

جامعة الملك عبد العزيز

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم الشريعة والدراسات الإسلامية

المؤتمر العلمي للحسبة (انتماء وطني وأمن فكري)

دور الحسبة في وقاية المجتمع من الانحراف الفكري ومواجهته

أ.د: عفاف بنت حسن بن محمد مختار الهاشمي

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة

١٤٣٩هـ - ٢٠١٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستعديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
أما بعد

فقد غنى الإسلام بتقرير أسس الحياة التعبدية، والاجتماعية، والثقافية والاقتصادية، والسياسية وغيرها، وأرسى قواعدها، وأبرز دعائمها الراسخة، بحيث تكون حياة الأمة الإسلامية حياة مترابطة متماسكة، تشتمل على مقومات المجتمع الذي تُرسم له طريق النمو والتطور، وتكفل له سبيل الأمان والاستقرار، وتمتاز الخطة التي قررها الإسلام لبناء المجتمع المسلم بسعيها نحو سعادة البشر جميعاً، لأنها صادرة من الخالق - جلّ وعز - ولم تقم على شعارات كاذبة أو تجارب قاصرة، أو نداءات مزيفة من وضع الأفراد، بل قامت على مبادئ صادقة تتفق مع سنن الحياة البشرية، وبذلك فإن المجتمع الإسلامي ينفرد عن غيره من المجتمعات الأخرى بتميزه بنظمه الخاصة، وتشريعاته الفريدة، وروابطه المتينة المرتكزة على رابطة الإيمان بالله - تعالى - ووحدة العقيدة، التي هي أشرف الروابط وأقواها وأوثقها، ولا يمكن لأي رابطة أخرى أن تحل محلها، أو تدانيها سواء أكانت رابطة الدم أو النسب أو الجنس أو اللون، فالمنهج الرباني هو الذي يجمع بين القلوب ويؤلف بينها، وتستقيم الحياة بالثبات عليه، وتجتمع القلوب بامتثاله وطاعته، فتصبح أمة واحدة تزول بينها كل الفروق وترتفع سائر الحواجز، يقول الله - تعالى - : ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ولتدعيم هذا المنهج جعل الدين الإسلامي شعيرة الحسبة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) من أهم الشعائر التي توطد هذا المنهج العظيم، فالحسبة من أعظم وأهم أعمدة قيام الدين الإسلامي، ومما يؤكد وجوب الحسبة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) على أفراد الأمة الإسلامية وأنه التزام اجتماعي على كل فرد مسلم، استحقاق بني إسرائيل اللعنة لعدم قيامهم بالنهي عن المنكر، ولا يستحق العبد لعنة الله إلا إذا ترك أمراً واجباً عليه أدأه، يقول الله - تعالى - ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨ - ٧٩] ومما يؤكد أيضاً الوجوب شمول الهلاك لكل من لم يؤد حق الإسلام والمجتمع في التقويم والإصلاح والضرب على يد العابثين المفسدين المنحرفين قول الرسول ﷺ : (مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن

أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً^(١)، ولهذا فإن صلاح الدنيا والدين يستوجب إقامة هذا الركن العظيم (الحسبة) لما له من أثر فعال في تحقيق الحصانة للأمة من مظاهر الانحراف الفكري والسلوكي، فإذا تعاون المجتمع على تحقيق الحسبة حوصرت الأفكار الرديئة الهدامة، والأعمال الفاسدة، كما أن القيام بهذا الأمر يحقق الوظيفة الدفاعية والعلاجية لكل ما يتعرض له المجتمع من انحرافات أو جرائم أو رذائل، بالأخذ على أرباب الشر والأذى والفكر المنحرف، ويعمل على توفير السكينة للبلاد والعباد، مع كفالة التقدم والتحسين في أمور الدين والدنيا لصالح الجماعة، ومن هنا جاءت أهمية هذا الموضوع: (دور الحسبة في وقاية المجتمع من الانحراف الفكري ومواجهته) وبالله التوفيق.

أسباب اختيار الموضوع:

١. لما كان للغلاة والخارجين عن الفكر السليم انتشار واسع مع انتساب بعضهم لأهل السنة والجماعة تحتم على الباحثين دراسة أفكارهم تحليلية للحق وإظهاراً له.
٢. بيان خطورة الانحراف الفكري.
٣. اختلاط منهج الحق بالباطل لدى المنحرفين فكرياً.
٤. وقوع الانحراف عند كثير من الناس في باب الاعتقاد وتأثرهم بالمنهج المتشددة.
٥. إبراز دور الحسبة في القضاء على الفكر المنحرف وتوجهاته.

أهداف البحث:

١. التعرف على الغلاة أصحاب الفكر المنحرف الخارجين عن الجماعة.
٢. الإسهام في علاج الفكر المنحرف بطريق الحسبة المنضبطة بضوابط الشريعة.

منهج البحث:

اتبعت في إعداد هذا البحث المنهج الآتي:

١. الاعتماد بعد التوكل على الله - تعالى - على المنهج الاستقرائي قدر الاستطاعة في جمع المادة العلمية مع المنهج الموضوعي لملائمته لمفردات البحث.
٢. إذا كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بتخريجه منهما، إذ المقصود معرفة صحته، أما إذا كان في غيرهما فقد أذكر أكثر من مصدر.
٣. عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها.

(١) البخاري كتاب الشركة - باب هل يُقرع في القسمة (٩٤ / ٥).

٤. عزو الحديث يكون بالكتاب والباب والجزء والصفحة، أو رقم الحديث على حسب المصدر المنقول منه.

٥. القيام بشرح الألفاظ الغريبة.

٦. عند تغيير الطبعة المعتمدة أشير إلى ذلك في الحاشية.

٧. ذكر بيانات المصدر أو المرجع كاملة في فهرس المصادر والمراجع (اسم الكتاب - اسم المحقق أو المصحح أو

المعلق أو المقدم إن وجد - دار النشر - بلد النشر - رقم الطبعة - تاريخ الطبعة) وإذا لم توجد جميع هذه المعلومات فالإكتفاء بما وجد.

٨. تذييل البحث بفهرس المصادر والمراجع والموضوعات.

خطة البحث:

يحتوي البحث على تمهيد وخمسة مطالب:

التمهيد ويحتوي على تعريف الحسبة - الانحراف الفكري - أهمية الحسبة في الدين الإسلامي وأثرها في نشر الفكر المستنير.

المبحث الأول: اعتماد مراتب الاحتساب وأثرها في القضاء على الفكر المنحرف.

المبحث الثاني: أشكال الاتجاهات الفكرية المنحرفة الوافدة.

المبحث الثالث: أهداف ووسائل الاتجاهات الفكرية المنحرفة.

المبحث الرابع: الأسباب الرئيسية للانحراف الفكري.

المبحث الخامس: وقاية المجتمع من الانحراف الفكري.

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات، ثم فهرس المصادر والموضوعات.

التمهيد: يحتوي على تعريف الحسبة - الانحراف الفكري - أهمية الحسبة في الدين الإسلامي:

أولاً: تعريف الحسبة:

تعريف الحسبة في اللغة: الحسبة في اللغة: تدل على معنى العدد والحساب، ويُقال: احتسب بكذا إذا اكتفى

به، واحتسب على فلان الأمر: أنكره عليه، واحتسب الأجر على الله ادخره لديه، وهي مشتقة من الفعل (حسب)

والاسم منه الحسبة والاحتساب، فالحسبة في اللغة تدور حول طلب الأجر، والاختيار، والإنكار، والظن، والاعتداد والاكْتفاء^(١).

الحسبة في الاصطلاح: الحسبة عند الفقهاء: أمر بمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله^(٢)، فهي من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل إن الفقهاء يسمون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر احتساباً وحسبة، ما دام القائم يفعله ابتغاء مرضاة الله وما عنده من الأجر والثواب^(٣).

ثانياً: تعريف الانحراف الفكري:

الانحراف في اللغة: الاضطراب والاعوجاج والخروج عن جادة الصواب وعن المؤلف، والميل عن الاستواء، والانصراف، والميل عن الاعتدال^(٤).

الانحراف اصطلاحاً: هو انتهاك للتوقعات والمعايير الاجتماعية، ويُعرّف الانحراف من الناحية القانونية كل من يخالف القانون، ويُعتبر الانحراف من الناحية الإسلامية: ترك الاستقامة، ويمكن القول إن الشخص المنحرف أو الجماعة المنحرفة هي كل من يفعل ما نهى الله عنه ويترك ما أمر الله به^(٥).

تعريف الفكر في اللغة: أعمال الخاطر في الشيء، والتأمل، وإعمال العقل وترتيب بعض ما يُعلم ليصل به إلى مجهول، والتفكير إعمال العقل في مشكلة للتوصل إلى حلها، ومن معانيه النظر والرؤية، وتردد القلب بالنظر والتدبر بطلب المعاني، أو ترتيب أمور معلومة للتأدية إلى مجهول، أو ترتيب أمور في الذهن يتوصل بها إلى مطلوب فيكون علماً أو ظناً^(٦).

الفكر في الاصطلاح: عُرّف الفكر في الاصطلاح بعدد من التعاريف منها:

١. إن الفكر هو صفة العقل الإنساني ومسرح نشاطه الذهني وعطاؤه الفكري فيما يعرض له من قضايا الوجود والحياة^(٧).

(١) لسان العرب (١/ ٣١٤)، القاموس المحيط للفيروز آبادي (٥٦)، المصباح المنير (٥٢).

(٢) الأحكام السلطانية للماوردي (٢٩٩)، الأحكام السلطانية لأبي يعلى الفراء (٢٨٤)، أصول العقيدة لزبدان (١٦٥).

(٣) أصول الدعوة لزبدان (١٦٥).

(٤) لسان العرب (٣/ ١٢٧ - ١٣١)، معجم اللغة المعاصرة (٢٠ - ٢٥).

(٥) مفهوم الانحراف الفكري أسبابه ومظاهره على المجتمع - حسن محمد علي - (١٧ - ١٩).

(٦) لسان العرب (٥/ ٦٥)، الصحاح (٢/ ٧٨٣)، المعجم الوسيط (٧٢٤)، محيط المحيط (٦٩٩).

(٧) المعجم الفلسفي لصليبا (١٥٤ - ١٥٥).

٢. إن الفكر هو مادة الثقافة وماهيتها، أو هو أداؤها والشئ الذي تقوم به وتتكون، والثقافة من ناحية أخرى هي: ثمرة للفكر في المجال النظري، وقد يُطلق كل منهما على الآخر^(١).
٣. إنه اسم لعملية ترد القوى العاقلة المفكرة في الإنسان سواءً أكان قلباً أو روحاً أو ذهنًا بالنظر والتدبر لطلب المعاني المجهولة من الأمور المعلومة، أو الوصول إلى الأحكام أو النسب بين الأشياء^(٢).
٤. الفكر يُطلق على كل ظاهرة من ظواهر الحياة العقلية، وهو مرادف للنظر العقلي والتأمل ومقابل للحدس^(٣).
٥. إنه أسمى صور العمل الذهني بما فيه من تحليل وتركيب وتنسيق، ويطلق الفكر بوجه عام على جملة النشاط الذهني من تفكير وإرادة ووجدان وعاطفة^(٤).
٦. إن الفكر هو نتاج التفكير (Thinking) الذي يمثل ضرباً تجريبياً من الفعل، ويتم باتفاق جزء بسيط من الطاقة، ويرتبط بعناصر مدركة في الزمان، ويُعد التفكير شيئاً ضرورياً لاختيار الواقع ويرتبط بشدة العمليات الأولية والثانوية^(٥).

الانحراف الفكري اصطلاحاً:

١. هو اتجاهات وسلوكيات عدوانية بالدرجة الأولى تستهدف الأفراد والجماعات والمجتمعات^(٦).
٢. هو فكر يؤدي إلى جرائم عنف تقع على الإنسان بأفعال تتصف بالشدة والقسوة بغية إلحاق الأذى بنفسه أو بماله أو ذويه^(٧).
٣. هو فكر يؤدي إلى أفعال تقترب باعتداء على الإنسان أو على ممتلكاته لغايات متعددة منها الحصول على المال أو الانتقام أو تحقيق أغراض سياسية^(٨).
٤. إنه فكر يؤدي إلى الجرائم التي يصاحبها استعمال غير قانوني لوسائل القسر المادي أو البدني في الإضرار بشخص أو شيء، أو ابتغاء تحقيق غايات شخصية، أو اجتماعية، أو سياسية، ومن أمثلها جرائم القتل والاغتصاب، والسطو المسلح، وقطع الطريق، وهتك العرض بالقوة، أو التهديد والسرقة بالإكراه، والتخريب والاغتيال^(٩).

(١) الاتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف الإسلام منها (١١)، مقدمات في الثقافة الإسلامية للقوسي (٢١).

(٢) الأزمة الفكرية المعاصرة للعولاني (٢٧).

(٣) المعجم الفلسفي لصليبي (١٥٤).

(٤) انظر المصدر السابق (١٣٧).

(٥) موسوعة علم النفس والتحليل النفسي لحنفي (٩٠٤ - ٩٠٥).

(٦) الفكر المنحرف وخطره على أمن المجتمع - د: فواز الدخيل (٢٤).

(٧) الإحرام المعاصر - د: عيد (٤٥).

(٨) انظر المصدر السابق.

(٩) الإحرام المعاصر لعيد (٤٦).

٥. إنه فكر يؤدي إلى استخدام القوة أو اقحامها بشكل مكثف وتدميري بلا داع أو مبرر وبدون ضرورة، وبصورة لا يمكن التنبؤ بنتائجها، أو استخدام فظ ومدمر للقوة، يستعصى على التنبؤ، ولا تستند إلى ضرورة^(١).

٦. إنه فكر يؤدي إلى مجموعة الأعمال التي ينتج منها أو يمكن أن ينتج عنها التسبب في أذى كثير للحياة أو لشروطها المادية، ومن ذلك أي أذى بيولوجي أو ضغوط جسدية شديدة، أو تخريب للممتلكات أو الآم نفسية تترتب على حدوثه^(٢).

٧. إنه تفكير يؤدي إلى أفعال التدمير والتخريب وإلحاق الأضرار والخسائر، التي توجه إلى أهداف أو ضحايا مختارة، أو ظروف بيئية، أو وسائل أو أدوات، والتي تكون آثارها صفة سياسية، من شأنها تعديل أو تقييد أو تحويل سلوك الآخرين في موقف المساومة والتي لها نتائجها على النظام الاجتماعي^(٣).

وجميع هذه التعاريف مقبولة حيث إن كل تعريف عرّف الفكر المنحرف من زاوية معينة.

ويتصف مفهوم الانحراف الفكري بأنه مفهوم نسبي متغير، فما يُعد انحرافاً فكرياً في مجتمع ما، لا يعد كذلك في مجتمع آخر، وذلك لاختلاف القيم والمعايير الدينية والاجتماعية والثقافية لدى كل مجتمع، وكل مجتمع يرى الانحراف الفكري هو ذلك النوع من الفكر الذي يخالف القيم الروحية والاخلاقية والحضارية للمجتمع، ويخالف ضميرهم الاجتماعي، وأهم من ذلك كله هو ذلك النوع من الفكر الذي يخالف الشرع والمنطق والتفكير السليم ويتصرف تصرفات غير أخلاقية، وتسعى إلى ضرب وتفكيك وحدة كيان المجتمع^(٤).

ثالثاً: أهمية الحسبة في الدين الإسلامي:

إن الحسبة في الدعوة الإسلامية لها مكانة مميزة حيث دل على طلبها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فكل آية وردت في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي دليل على مشروعية الحسبة وطلب الشرع لها، والواقع أن القرآن الكريم دل على طلب الحسبة بأساليب متنوعة فطوراً يأمر بها، وتارة يجعلها وصفاً لازماً للمؤمنين وسبباً لخيرية الأمة وأن الغاية من التمكين في الأرض والظفر بالسلطان والحكم هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن ترك ذلك سبب لاستحقاق اللعنة، يقول الله - تعالى - : ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤] ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١] ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾

(١) العنف من منظور اجتماعي نفسي لبدر (١٧٠).

(٢) الإرهاب السياسي لحريز (٤٣ - ٤٤).

(٣) الإرهاب والعنف السياسي لعز الدين (١٢٨).

(٤) الانحراف الفكري مفهومه وأسبابه وعلاجه لعابدين (٢٠ - ٢١).

[الحج: ٤١] ﴿لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨ - ٧٩]، والسنة النبوية دلت على مشروعية الحسبة وطلب الشرع لها، فمن ذلك قوله ﷺ: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)^(١)، (لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو لیسلمن الله علیکم شرارکم ثم یدعو خيارکم فلا یستجاب لهم)^(٢)، وللحسبة مكانة عظيمة جداً في الإسلام، لأنها أمر بمعروف ونهي عن منكر، وهذا من أخص خصائص الرسول ﷺ يقول الله - تعالى -: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقد وصف الله - عزوجل - الأمة الإسلامية بما وصف به رسولها حتى تقوم من بعده بما قام به ﷺ يقول الله - تعالى -: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١] فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأصول العظيمة للإسلام، وحكمة مشروعيتها ظاهرة لأن تبليغ الدعوة الإسلامية بجميع معانيها يندرج تحت مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما أن من حكمة مشروعيتها توقي العذاب واستئصال رحمة الله، وبيان ذلك أن المعاصي سبب المصائب وما ينزل على الناس من عذاب التأديب أو الانتقام أو الاستئصال وبهذا جرت سنة الله، يقول الله - تعالى -: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، وإذا كان الكفر والفسوق والعصيان سبباً للمصائب والهلاك فقد يذنب الرجل أو الطائفة ويسكت الآخرون فلا يأمر ولا ينهون فيكون ذلك من ذنوبهم فتصيبهم المصائب، يقول الرسول ﷺ: (إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك الله أن يعمهم بعذاب منه)^(٣)، وبهذا يتضح أن صلاح الدنيا والدين يستوجب إقامة هذه الشعيرة لما لها من أثر فعال في تحقيق الحصانة للمجتمع من مظاهر الانحراف الفكري والسلوكي، فإذا تعاون المجتمع على تحقيق الحسبة حوصرت الأفكار الرديئة والأعمال الفاسدة^(٤)، كما أن تطبيق الحسبة يؤدي على قيام مجتمع آمن مطمئن فيتكافل، فحيث وجدت وقامت الحسبة فإن ذلك يعني تطبيق العقوبات الشرعية على كل من ارتكب منكراً، الأمر الذي يؤمن المجتمع من الجريمة وشروطها، كما أنها تردع كل من تسول له نفسه الإقدام على ما يخل بالأمن وبذلك يتمكن المجتمع من صد كل منحرف عن الطريق المستقيم أو زائغ عن الحق، أو خارج عن الخلق الحسن، وحتى لا يتسع هذا الانحراف، ويزداد ذلك الزيغ أوجب الله - تعالى - على المسلمين أن يتعاونوا أفراداً وجماعات على منع الفساد من أن يُنشر عن طريق الحسبة

(١) مسلم كتاب الإيمان - باب وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٢/ ٢٢ - ٢٥).

(٢) أحمد في مسنده - مسند أبي بكر (١/ ١٧٨)، والبخاري في مسنده - باب مسند أبي حمزة - أنس بن مالك (١٥/ ١٦٣)، والترمذي في سننه برقم (٢١٦٩) وقال حديث حسن.

(٣) ابن أبي شيبة (١٥/ ١٧٤ - ١٧٥)، وابن ماجه رقم (٤٠٠٥)، والمروزي في مسند أبي بكر (٨٨)، وأبو يعلى (١٣٢)، وابن حبان (٣٠٤).

(٤) مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر للويحق (٣/ ٩٦٨).

والاهتمام بها، فجاءت النصوص النقلية تحت المسلمين عليها، وتجعل ذلك وظيفة للأمة وواجباً عليها^(١)، وبها تبقى معتقدات المسلمين مصانة من كل ما من شأنه أن يدخل عليها من البدع والانحرافات والأفكار المنحرفة^(٢).

المبحث الأول: اعتماد مراتب الاحتساب وأثرها في القضاء على الفكر المنحرف:

وهي التعريف، ثم الوعظ ثم التعنيف ثم باستعمال اليد ثم التهديد ثم الضرب^(٣)، حيث إن من الأمور التي ينبغي أن يراعيها المحتسب عند ابتدائه، أن يكون على يقين بأن ما يقوم به سيأتي بنتيجة مثمرة وطيبة، يتحقق فيها بإذن الله - تعالى - طاعة المدعويين وتقبلهم، وبذلك يقتفي ويتبع هدي الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - وهذا ما حدث مع النبي ﷺ مع وفد ثقيف، إذ أنهم قدموا عليه في سنة ٩ هجرية، ودعاهم أول ما دعاهم إلى التوحيد فأعلنوا إسلامهم ثم اشترطوا عليه أن يدع لهم اللات ثلاث سنين، فأبى عليهم أن يدعها، وأبى إلا أن يبعث معهم أبا سفيان بن حرب، والمغيرة بن شعبة ليهدماها، وسأله مع ذلك ألا يصلوا، وألا يكسروا أصنامهم بأيديهم، فقال: أما كسر أصنامكم بأيديكم فسنعفيكم من ذلك، وأما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه، فقالوا: سنؤتيكها^(٤) ثم قال الرسول ﷺ لأصحابه: (سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا)^(٥) فإتباع الرسول ﷺ لهذا الأسلوب الدعوي الحكيم معهم تحقق وعد الله الذي جاء على لسان رسوله ﷺ حين كان على يقين به وقال لأصحابه (سيتصدقون ويجاهدون) وقد كان لهذا الأسلوب الحكيم الذي اتبعه الرسول ﷺ الأثر الأكبر في تخليص العرب من أرجاسهم، وتطهيرهم منها وهم لا يشعرون بأدنى عنت أو حرج، ولا أدل على ذلك من التدرج في تحريم الخمر ما إن جاء المنادي ونادى (ألا إن الخمر حرمت) حتى استجاب له المؤمنون جميعاً^(٦)، تقول عائشة - رضي الله عنها -: (إن أول ما نزل منه - أي القرآن - سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبداً)^(٧) فتكليف المدعويين بكل ما يريده الله - تعالى - دفعة واحدة قد يكون أمر فوق الطاقة، ولا بد من تعدد الوسائل والأساليب، فينبغي على المحتسب وهو يقتفي أثر الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - أن يتدرج مع المدعويين عند دعوتهم درجات تغير المنكر والنهي عنه حتى لا يضيع جهده سدى، وله في ذلك أسوة حسنة بإبراهيم ﷺ فقد أنكر على قومه أولاً عبادتهم الأصنام بلسانه، ولما لم يجد معهم ذلك قام بتغييره بيده، يقول الله - تعالى -: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٧] فأخبرهم بأنه سينتقل من الحاجة باللسان إلى تغيير المنكر

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للمسعود (٢/ ٢٥٣).

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية (٢٤٥).

(٣) فقه الدعوة في إنكار المنكر (٦٧- ٧٤)، وإحياء علوم الدين (٧/ ١٢٢٦ - ١٢٣٣).

(٤) الطبقات الكبرى (١/ ٣١٣ - ٣١٤).

(٥) أبو داود كتاب الحجاج والإمارة - باب ما جاء في خير الطائف (٣٤٣) برقم (٣٠٢٥) وقال الألباني: صحيح في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٧/ ٢٥).

(٦) الحكمة والموعظة الحسنة وأثرهما في الدعوة إلى الله (٢٣٣).

(٧) البخاري كتاب فضائل القرآن - باب تأليف القرآن (٩/ ٣٩).

بالفعل ثقة بالله - تعالى - وحماية على دينه^(١)، وقد دلنا النبي ﷺ على ذلك فقال: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فمن لم يستطع فبلسانه، فمن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)^(٢) فأخبر النبي ﷺ أن إنكار المنكر على هذه الوجوه الثلاثة على حسب الإمكان، ودل على أنه إذ لم يستطع تغييره بيده فعليه تغييره بلسانه، ثم إن لم يكن ذلك فليس عليه أكثر من إنكاره بقلبه، فقد صرح الحديث الشريف بدرجات تغيير المنكر فبدأ بأقوى درجات التغيير له ثم بالأدنى، فلا تعارض بين ملاحظة درجات التغيير، وبين اعتماد مراتبه مرتبة مرتبة، فعلى الناصح أو الداعية أو المحتسب عند قيامه بدرجة من درجات التغيير أن يلاحظ ترتيب المراتب، وإن تجاوز هذه المراتب يُعد خروجاً عن الحكمة في الدعوة^(٣) يقول الله - تعالى -: ﴿الَّذِينَ تَخَافُونَ نُشُوزَهُمْ فَعِظُوهُمْ وَاهْجُرُوهُمْ فِي الْمَصَاحِعِ وَاصْرُوهُمْ﴾ [النساء: ٣٤] فقد أشارت الآية الكريمة إلى مراتب الدعوة والنصيحة وتغيير المنكر، ولذلك فإن استخدام الشدة في الدعوة في بعض الأحوال يكون بعد النظر والتدبر فيما يترتب عليه، فإن تأكد لدى المحتسب حدوث منكر أعظم من المنكر الذي أراد إزالته أو ترك معروف أهم منه بسبب دعوته بالشدة فليس له أن يلجأ إليها^(٤) وليس معنى ذلك تحلي المحتسب عن الشدة أن يكون مدهاناً، حيث يلقي الفاسق المعلن بفسقه فلا ينكر عليه ولو بقلبه، أو يرى منكراً ويقدر على دفعه فلا يدفعه حفظاً لجانب مرتكبه، أو جانب غيره، أو لقلّة مبالاة في الدين، أو نفاق ورياء فيه، أو يترك بعض ما هو عليه من أمر الدين مما لا يرضاه مصانعة لهم، بل المقصود من الرفق واللين أن تكون دعوته خالية من العنف، والخشونة، والقسوة، والشدة، والجفاء، وإذا اضطر إلى استخدام الغلظة والشدة فبحكمة وفي موضعها المناسب^(٥)، وفي موضعها المناسب وعلى المحتسب البحث عن الدوافع والأسباب لملاحقتها في اختيار أسلوب المعالجة حيث إن أسلوب معالجة الجاهل تختلف عن أسلوب معالجة العدو المتعصب، وهذا الاختلاف يقتضي تشخيص المحتسب لكل حالة على حدة، وهذا ما فعله الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام - فكانوا يراعون أحوال المدعويين في اختيارهم للموضوعات التي خاطبوا بها أقوامهم بما يناسب فكرهم، ولذا فإنه ينبغي للدعاة وللناصحين وللمحتسبين ولكل مرب ومصلح أن يراعي الموضوعات التي يتحدث عنها مع الناس، فيعالج ما تكون الحاجة إليه، أمس من غيره، وينبغي للمحتسبين أيضاً في اتباعهم لهذا الأسلوب الحكيم الابتعاد عن إثارة أمور وموضوعات غير موجودة في بيئة المدعويين، حتى لا يفتح أذهانهم إلى أشياء لم يكونوا يعرفونها من قبل، وينبغي عليهم أيضاً أن يكونوا مدركين لمكونات المجتمع العقديّة والفكرية، وهل هو مكون من المسلمين العصاة، أو من المسلمين الذين انتشرت فيهم البدع والخرافات، وهل المجتمع من أهل كتاب، وإذا كانوا كذلك هل هم من اليهود أم من النصارى؟ وهل المجتمع الذي يدعوه من الملحدين والماديّين والدهريّين أم من المشركين؟ فإذا عرف الداعية أو المحتسب ذلك فعليه أن

(١) فتح القدير (٣/ ٤١٣)

(٢) مسلم كتاب الإيمان - باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان (٢/ ٢١)

(٣) انظر كتاب الحسبة في الإسلام

(٤) من صفات الداعية اللين والرفق (٥٩)

(٥) معالم التنزيل (٤/ ٣٧٧)، والتفسير الكبير (٣/ ٨٣)، وعمدة القارئ (٢٢/ ١٧١)

يعرف ماذا يقدم معهم؟ وماذا يؤخر؟^(١) وما القضايا التي يعطيها أهمية وأولوية قبل غيرها، وما الأفكار التي يطرحها ويبدأ بها، ومن الأمور التي ينبغي أيضاً التنبيه لها في هذا الجانب أن يدرك المحتسب أن لكل مقال مقالاً، ولكل جماعة لساناً، فالحديث إلى العلماء غير الحديث إلى الأغبياء، والحديث إلى العامة، غير الحديث إلى عليّة الناس، وخطاب الأميين غير خطاب المثقفين، والكلام في حالات الأمن يختلف عنه في حالات الخوف، ويقاس ذلك على تقلبات الأحوال واختلاف الظروف بين غنى وفقر وصحة ومرض، يقول الله - تعالى - : ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤] فأمر الله - تعالى - موسى وهارون - عليهما الصلاة والسلام - أن يداريا ويرفقا بفرعون عند دعوته، وقد اتبع النبي ﷺ هذا الأسلوب الحكيم في تعامله مع الناس ومنهم المنافقين، تقول عائشة - رضي الله عنها - : (إن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فلما رآه قال: بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة، فلما جلس تطلق النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه، فلما انطلق الرجل، قالت له عائشة: يا رسول الله، حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا، ثم تطلعت في وجهه وانبسطت إليه، فقال: يا عائشة متى عهدتني فحاشاً؟ إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره)^(٢) وقد نبه رسول الله ﷺ على ذلك حين بعث معاذ بن جبل - رضي الله عنه - إلى اليمن داعياً لهم إلى الإيمان بالله ورسوله، فعرفه طبيعة أهلها وزوده بعبارة تعينه على فهم بيئتهم وتوضح أحوالهم وظروفهم الاجتماعية فقال له ﷺ : (إنك ستأتي قوماً أهل كتاب)^(٣) يقول ابن حجر - يرحمه الله - : (هي كالتوطئة لتتجمع همته عليها لكون أهل الكتاب أهل علم في الجملة، فلا تكون العناية في مخاطبتهم كمخاطبة الجاهل من عبدة الأوثان)^(٤) ولذا يقول الله - تعالى - : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥] فالآية الكريمة فيها أمر للرسول ﷺ بالقيام بالدعوة بإحدى الطرق الثلاثة، وهي الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن فتتنوع طرق الدعوة بحسب طبائع الناس، الذين لكل صنف منهم طريقة تناسبه، يقول ابن القيم - يرحمه الله - : (جعل الله - سبحانه - مراتب الدعوة حسب مراتب الخلق، فالمستجيب الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه، يُدعى بطريقة الحكمة، والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر، يُدعى بالموعظة الحسنة وهي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، والمعاند الجاهل يجادل بالتي هي أحسن)^(٥) فعلى المحتسب أن يكون حكيماً في دعوته للناس، بأن يعرف طبيعة المدعو، حتى يمكنه استخدام الأسلوب الأمثل والطريقة المناسبة له، وحتى تكون دعوته على بصيرة، يقول أنس بن مالك - رضي الله عنه - : (بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد،

(١) الحكمة في الدعوة إلى الله (٣٣٦ - ٣٣٧)

(٢) البخاري كتاب الأدب - باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً (٣٧١ / ١٠)، ومسلم كتاب البر والصلة - باب مدارة من يتقي فحشه (١٤٤ / ١٦)

(٣) البخاري كتاب الزكاة - باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد إلى الفقراء حيث كانوا (٣٥٨ / ٣)، ومسلم كتاب الإيمان - باب الدعاء إلى الشهادتين (١٩٦ / ١)

(٤) فتح الباري (٣٥٨ / ٣)

(٥) التفسير القيم (٣٤٤)، والتفسير الكبير (١٣٨ / ٢٠)، ومجموع الفتاوى (١٦٤ / ١٩)، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٥١ / ٥).

فقال أصحاب رسول الله ﷺ : مَهْ مَهْ^(١)، قال رسول الله ﷺ : لا تُزرموه^(٢) دعوه فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله - عز وجل - والصلاة وقراءة القرآن^(٣) فقد رأى النبي ﷺ طبيعة ذلك الرجل بأنه من أهل البادية، وبأنه جاهل بالحكم الشرعي فيما فعله، فاتبع معه أسلوب الموعظة الحسنة التي أراد من خلالها تعليمه ما لم يعلم من دين الله وأحكامه، ولا يفهم من ذلك أن الناصح يجب عليه المداينة فهناك فرق بين المداينة^(٤) والمداينة، فالدعية والناصح يداري ولا يداهن، يقول الرسول ﷺ : (مثل المدّهن في حدود الله والواقع فيها، مثل قوم استهموا سفينة فصار بعضهم في أسفلها، وصار بعضهم في أعلاها، فكان الذي في أسفلها يعمرون بالماء على الذين في أعلاها فتأذوا به، فأخذ فاساً فجعل ينقر أسفل السفينة فأتوه فقالوا: مالك؟ قال: تأذيتم بي ولا بد لي من الماء فإن أخذوا على يدي أنه أنجوه وأنجوا أنفسهم وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم)^(٥).

المبحث الثاني: أشكال الاتجاهات الفكرية المنحرفة:

لقد اصطنع الغرب أسلوب الاتجاهات الفكرية كقوة مضادة للعالم الإسلامي تمهيداً للسيطرة الفكرية ومن ثم السيطرة على أشكال الحياة المختلفة - خاصة بعد فشلهم في الحروب الصليبية مع المسلمين - ولقد تعددت تلك الاتجاهات المعادية، الأمر الذي يصعب معه حصر كل هذه الأشكال، حيث إن بعضها قد يكون خفياً، حتى تلك الاتجاهات الفكرية الوافدة ذات التيارات السلبية المعادية للإسلام والمسلمين الظاهرة للعيان، فإنه من الصعوبة الإحاطة بها نظراً لكثرتها، ومن أهم أشكال التيارات الفكرية الوافدة: الاستشراق - التنصير - الماسونية - العلمانية - التغريب - الشيوعية الاشتراكية وغيرها كثير:

أولاً: الاستشراق: عندما أخفقت الحملات الصليبية عسكرياً بحث الغرب في الأسباب التي حالت دون تحقيق أهدافهم في السيطرة على العالم الإسلامي، فوجدوا في الفكر أداتهم في محاولة لتدمير وتشويه الدين الإسلامي حتى تتحقق أهدافهم، ولذلك أسس الغرب المعاهد والكتليات التي تُدرّس اللغة العربية والثقافية الإسلامية، واستمروا على ذلك عدة قرون، إلى أن جاء القرن الثامن عشر الذي استولى فيه الغرب على جميع المعارف الإسلامية، واشتروا كثيراً من المخطوطات النفيسة من جهلة المسلمين، وسرقوا كثيراً من المكتبات^(٦)، ولم تكن محاولات المستشرقين فردية بل لقد

(١) مه : كلمة يراد بها الزجر المصروف إلى المستعاذ منه. انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٤ / ٣١٠)

(٢) لا تُزرموه: بضم أوله وسكون الزاي وكسر الراء من الإزرام، أي: لا تقطعوا عليه بوله، يقال: زُرم البول: إذا تقطع، وأزرمته أي: قطعته، وكذلك يقال: في الدمع. انظر فتح الباري (١٠ / ٤٤٩)

(٣) البخاري كتاب الآداب - باب الرفق في الأمر كله (١٠ / ٤٤٩)، ومسلم كتاب الطهارة - باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد (٣ / ١٠١)

(٤) المداينة هي: الرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل، ولا سيما إذا احتيج إلى تألفه ونحو ذلك، أما المداينة: فهي من الدهان، وهو الذي يظهر على الشيء ويستتر باطنه، وفسرها العلماء بأنها: معاشرته الفاسق، وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه. انظر فتح الباري (١٠ / ٥٤٤)

(٥) البخاري كتاب الشهادات - باب القرعة في المشكلات (٥ / ٣٢٣)

(٦) ثقافة المسلم بين الأصالة والتحديات لإبراهيم (١٦٤).

دخلت الفاتيكان بكل ثقلها من النيل من الإسلام عن طريق الاستشراق، فعملت على أن ترسل بعض رجالها مع المنصرّين إلى بلاد المسلمين لتعلم اللغة العربية، وأنشأت معاهد عربية لمساعدة هذه الحركة^(١).

الدلالة الاصطلاحية واللغوية للاستشراق:

تعريف الاستشراق في اللغة: مأخوذ من كلمة شرق، وفي لسان العرب: شرق وشرقت الشمس شروقاً وشرقاً أي: طلعت، واسم الموضع: المشرق، وقد جاء في بعض المصادر اللغوية الحديثة: استشرق: أي طلب الشرق أو طلب علوم الشرق ولغاتهم، ويقال لمن يُعنى بذلك من علماء الإفرنجية^(٢).

وتأتي الكلمة في اللغات الغربية بالدلالة ذاتها إذ في اللاتينية تعني كلمة (Orient) أي: يتعلم أو يبحث عن شيء ما، وبالفرنسية تعني (Orienter) أي: وجّه أو هدى، أو أرشد، وبالإنجليزية (Orientation) و (Orientate) يعني توجيه الحواس نحو اتجاه أو علاقة ما في مجال الأخلاق أو الاجتماع أو الفكر، أو الأدب نحو اهتمامات شخصية في المجال الفكري أو الروحي، ومن ذلك أن السنة الأولى في بعض الجامعات تُسمى السنة الإعدادية (Orientation)، وفي الألمانية (Sichorientieren) يعني: يجمع معلومات (معرفة) عن شيء ما^(٣)، فالمعنى اللغوي يدور حول: الطلوع وطلب العلم، والتعليم، والبحث، والتوجيه، والهداية، والإرشاد، والاهتمام.

تعريف الاستشراق في الاصطلاح: عُرف الاستشراق بتعاريف كثيرة منها:

١. تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويُطلق على كل من يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم، لهذا جاء في تعريف الاستشراق الاصطلاحي أنه يُقصد ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته، ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة وعن العالم الإسلامي بصورة خاصة، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما^(٤).

٢. يقول حسن حنفي: الاستشراق هو رؤية الأنا (الشرق) من خلال الآخر (الغرب) مما يجعل التعريف يخضع لموجهات الرغبة وألياتها، فالشرق بالنسبة لنا ذلك المكان الذي يعيش فيه أغلب العرب المسلمين وفيه أجزاء

(١) الثقافة الإسلامية بين الغزو والاستقرار (٧٦).

(٢) لسان العرب (٢ / ٣٤١)، المعجم الوسيط (٤٨٢)، معجم متن اللغة لرضا (٣ / ٣١١)، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية لبارت (١١).

(٣) الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية (١١ - ١٢).

(٤) الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية في تراث الإسلام لرودنسون (٢٧ - ٢٨).

كبيرة من آسيا وأجزاء أخرى من أفريقيا، تتمثل بدول مثل الهند وباكستان وإيران وإندونيسيا وماليزيا والمشرق العربي ودول المغرب العربي وبعض دول أفريقيا السوداء^(١).

٣. يرى بعض الباحثين أن ثمة تعريف آخر في اللغات الأوروبية يدل على أن المقصود بالشرق والاستشراق ليس الشرق الجغرافي وإنما الشرق المقترن بمعنى الشروق والضيء والنور والهداية، وذلك بالبحث في كلمة شرق (Orient) في المعاجم اللغوية الأوروبية (الألمانية والفرنسية والإنجليزية) فوجد أنه يُشار إلى منطقة الشرق المقصودة بالدراسات الشرقية، وتتميز بطابع معنوي وهو (Morgenland) وتعني بلاد الصباح، ومعروف أن الصباح تشرق منه الشمس الذي يتضمن معنى النور واليقظة أو في مقابل ذلك يُستخدم في اللغة كلمه (Abendland) وتعني بلاد المساء لتدل على الظلام والراحة^(٢).

٤. الاستشراق: علم يختص بفقه اللغة خاصة، وأقرب شيء إليه إذاً أن نفكر في الاسم الذي أطلق عليه، كلمة استشراق مشتقة من كلمة (شرق) وكلمة شرق تعني شروق الشمس، وعلى هذا يكون الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي^(٣).

٥. إنه أسلوب في التفكير مبني على تميز متعلق بوجود المعرفة بين الشرق (معظم الوقت) وبين الغرب.

٦. المستشرق: من تبحر في لغات الشرق وآدابه^(٤).

٧. المستشرق هو: أحد أعضاء الكنيسة الشرقية أو اليونانية، مع معرفته بعض اللغات الشرقية^(٥).

٨. الاستشراق نوع من الإسقاط الغربي على الشرق وإرادة حكم الغرب للشرق.

٩. الاستشراق: بأنه دراسات وأبحاث قام بها تربويون تُهدف إلى دراسة العالم الشرقي ولا سيما الإسلامي، ديناً وتاريخاً وحضارة وعادات وشعوباً، بهدف فهم حقيقة الإسلام، إلا أنها في الفترات الأخيرة بدأت تأخذ أشكالاً أخرى في الظهور باسم مستشارين اقتصاديين أو سياسيين أو لغويين يتبعون وزارات الخارجية والاقتصاد والمال والحرية في العالم الغربي، ومهمة هذه الدراسات فهم طبيعة العالم الإسلامي وتوجهات المسلمين وذلك من أجل التعامل الغربي معهم^(٦).

١٠. هو دراسات (أكاديمية) يقوم بها غربيون كافرون من أهل الكتاب بوجه خاص للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب عقيدة، وشرعية، وثقافة، وحضارة، وتاريخاً ونظماً، وثورات، وإمكانات بهدف تشويه الإسلام ومحاوله

(١) رؤية إسلامية للاستشراق لغراب (٧).

(٢) الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية (٢٧ - ٢٩).

(٣) انظر المصدر السابق.

(٤) انظر المصدر السابق.

(٥) رؤية إسلامية للاستشراق (٧).

(٦) الموسوعة المفصلة في الفرق والأديان والملل والمذاهب (٢/ ٦٥٦).

تشكيك المسلمين فيه، وتضليلهم عنه، وفرض التبعية للغرب عليهم، ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تدعي العلمية والموضوعية، وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي^(١).

أرى أن التعريفين الثامن والعاشر هما أصح التعاريف، حيث إن التعريف الثامن وضع أن المراد من الاستشراق وتعريفه هو إرادة حكم الغرب للشرق، وهذا المعنى موافق لما يقوم به المستشرقون من إرادة سيطرة الغرب على الشرق، وأما التعريف العاشر وإن قصر الدراسات على الأكاديميين فهو يتحدث عن وضع الاستشراق في الوقت الحاضر، أما في السابق فكان الذين يهتمون بالاستشراق طائفة توازي الأكاديميين في الوقت الحالي، وهم في الغالب من أهل الكتاب ومن تتلمذ على أيديهم وإن كانوا مسلمين، إلا أنهم رضعوا ألبانهم، ووضح التعريف أيضاً أهم أعمالهم وهو تشويه الإسلام وتشكيك المسلمين وتضليلهم وفرض التبعية والاستيلاء عليهم.

أما التعريف الأول فجعل الاستشراق البحث في أمور الشرقيين وثقافتهم لتوضيح الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما، وهذا الأمر هدف من الأهداف العامة له، أما التعريف الثاني فلم يُعرف الاستشراق بطريقة علمية واضحة، والثالث وضع أن الشرق فيه النور والشروق والهداية واليقظة فهو ذكر السبب الذي جعل الغرب يهتمون بالشرق والاستشراق، لكن لم يوضح المراد من المصطلح^(٢)، أما الرابع جعل الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي، وهذا لا يتفق مع التعريف الصحيح للاستشراق، فعلم الشرق أمر يختلف كلية عن الاستشراق.

أما الخامس فجعله التفكير المبني على تمييز متعلق بوجود المعرفة بين الشرق والغرب، والحقيقة أن الاستشراق لا يكتفي بذلك فقط، أما السادس فجعل المستشرق من يتبحر في لغات الشرق وآدابه، والمصطلح لا يعني ذلك فقط بل هناك أمور عديدة معه، أما السابع فجعل المستشرق هو من أعضاء الكنيسة مع معرفته ببعض اللغات الشرقية، وهذا أيضاً تعريف ينقصه الوضوح فالصحيح أن المستشرق لا يستلزم أن يكون عضواً في الكنيسة ولا يكفي أن يكون

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) تنوعت مناهج المستشرقين بتنوع مدارسهم والعصر الذي كتبوا فيه، ففي بدايات الاستشراق الذي كان منطلقاً من البواعث الدينية التعصبية كان المنهج السائد هو المنهج القائم على التعصب والحق، وقد انتقد الغربيون أنفسهم هذا المنهج ومن هؤلاء المستشرقين الذين اعتبروا أنهم منصفون هادريان ريلند ت (١٧١٨م) وهو مستشرق هولندي له كتاب (الديانة المحمدية) يدحض فيه الآراء الباطلة عن الإسلام والقرآن والسنة النبوية، ولذا وضعت أوروبا كتابه في قائمة الكتب المحرم تداولها، ويوهان ويسكه (١٧١٦م - ١٧٧٤م) وهو ألماني، اهتم بدراسة اللغة العربية والحضارة الإسلامية، وقد أتمم بالزندقة موقفه الإيجابي من الإسلام، وسلفستر دي ساسي (١٧٥٨م - ١٨٣٨م) عمل في نشر المخطوطات الشرقية، وكتب العديد من البحوث حول العرب وآدابهم، وتوماس ولكر أرنولد (١٨٦٤م - ١٩٣٠م) إنجليزي ألف كتابه المشهور (الدعوة إلى الإسلام) وشارك في تحرير كتاب تراث الإسلام، وله بعض الطعون في الإسلام، وغوستاف لوبون فيلسوف مادي لا يؤمن بالأديان مطلقاً، ولكن كتبه الكثيرة تنسم بأنصاف الحضارة الإسلامية مما دفع الغربيين إلى إهماله وعدم تقديره، مع أن له بعض المغالطات والطعن على القرآن، وزيجريد هوكنه مستشفة ألمانية اتسمت كتابتها بالإنصاف وإبراز تأثير الحضارة العربية والإسلامية على الغرب في مؤلفها الشهير (شمس العرب تسطع على الغرب)، وجاك واردنبرج (١٩٣٠م) كانت رسالته للدكتوراة بعنوان (الإسلام في مرآة الغرب) وله إنتاج تميز في مجال الدراسات الإسلامية، وأتت ماري شميل اهتمت بدراسة الإسلام، أصدرت العديد من الكتب منها كتاب (محمد رسول الله) وضحت فيه مظاهر تعظيم وإجلال المسلمين لرسول الله ﷺ، وأبرى (١٩٠٥ - ١٩٦٩م) اهتم بالأدب العربي وأصدر كتابه المستشرقون البريطانيون سنة (١٩٤٣م)، ومنهم أيضاً كارلايل، ورينيه جينو، والدكتور جرينيه، وجوتة الألماني وغيرهم وإن كانت بعض من كتاباتهم لا تخلو من الطعن والانحراف. انظر تراث الإسلام لروندسون (٧٨)، الاستشراق - المعرفة - السلطة - الإنشاء - لسعيد (٣٠)، التبشير والاستعمار في الدول العربية (٣٨)، دفاع عن العقيدة الإسلامية للغزالي (٨)، تاريخ البشرية لتوميني (٨٨ / ٢).

المستشرق مستشرقاً معرفته ببعض اللغات الشرقية بل ينقصه أموراً أخرى، والتاسع جعل الاستشراق هو دراسة العالم الإسلامي وحقيقته من أجل التفاعل معهم وهذا غير صحيح بل إن أهم أهدافهم القضاء على الدين الإسلامي برمته.

الاستشراق ومحاربة الدين الإسلامي: لقد وجدت النصرانية سبيلها إلى الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام عن

طريق الرهبان والتجار الذين أحسنوا التنصير بعقيدتهم في هذه البقاع، وعاشوا مع البدو وشاركوهم في سكن الخيام حتى أطلق عليهم (أساقفة الخيام) فتنصرت عدد من القبائل العربية كتغلب، وسليم، وغسان ووصلت النصرانية إلى نجران بأعالي اليمن كما يروي الإمام الطبري - يرحمه الله - في كتابه تاريخ الرسل والملوك، وعندما ظهر الإسلام وانتشر ركز المستشرقون على عملية تشويه الدين الإسلامي، وقاموا بدراسات عديدة وأثاروا حولها قضايا شائكة مثل: هل القرآن كلام الله حقاً؟ هل نزل وحياً بواسطة جبريل؟ وهل جبريل حق؟ والنبوة حق؟ وهل تدخل وعي محمد أو لا وعيه في تأليفه للإسلام؟ ولذلك يؤكد المستشرقون على بشرية القرآن الكريم وأن محمداً ﷺ ألفه بلغته، وهذا الأمر يؤدي إلى نفي نبوته ﷺ وختمه للرسالات، ويصفون القرآن الكريم بالاضطراب وعدم الثبات، يقول جولد تسيهر: (لا يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافاً عقدياً على أنه نص مُنزل، أو موحى به يقدم نصه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الثورة من الاضطراب وعدم الثبات كما نجد في نص القرآن)^(١)، ولذلك قام المستشرقون بترجمة القرآن الكريم وقد خلت هذه الترجمة تماماً من الأمانة العلمية، وامتألت بالتزييف والتحريف، وكثرت فيها الأخطاء، وتعددت فيها مواضع الإضافة والحذف، ولم يبق بعد هذا النقل المشبوه من الأصل القرآني أقل القليل، وقد تمت تلك الترجمة تحت الرعايا الكاملة للبطرس المجل رئيس شماسة ديركلوني (Petter the venerable) ويقول أربري عنها: (بالرغم من امتلاء هذه الترجمة بالأكاذيب وسوء الفهم فإنها كانت الأساس الذي قامت عليه الترجمات الأوروبية المبكرة في الأسلوب الذي استخدمته)^(٢)، ومع ذلك ظلت هذه الترجمة هي الأصل التي اعتمدت عليها الترجمات الأوروبية بعد ذلك ومن محاولات تشويه الدين الإسلامي عند المستشرقين تجاهلهم للمصادر الصحيحة للدراسات القرآنية، وتعمدتهم الاعتماد على مصادر ضعيفة ومكذوبة، فيتجاهلون التفاسير الشرعية مثل تفسير الطبري وابن كثير والقرطبي، وبذلك يعملون إلى إثارة النزعات الدينية، والشبهات حول القرآن بالتحريف والتبديل، ومن الأمثلة على ذلك ترجمة سافاري للقرآن التي صارت من مراجع المستشرقين في ترجمة القرآن الكريم وتفسيره مع ما فيها من أخطاء كثيرة فمثلاً عندما ترجم قوله - تعالى - ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ [البقرة: ١٠٨] ترجمها بقوله: (أتسألون رسولكم ما سأله اليهود من موسى؟ فحذف عبارة (أم تريدون) وأضاف لفظة اليهود وهي غير موجودة في الآية، كما أنه حول كلمة (كما) إلى (ما) وهذا كله يخل بالمعنى)^(٣)، وعندما ترجم قول الله - تعالى - ﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ

(١) التفسير الإسلامي لجولد تسيهر (٣٤).

(٢) تراجم القرآن الأجنبية في الميزان (٤٦).

(٣) المستشرقون والقرآن لعوض (١٢).

اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا» [البقرة: ١٥٨] فترجم شعائر الله (بآثار الله) مع أن الطواف والسعي بالصفاء والمروة شعيرة من شعائر الله التعبدية، وهذا مقصودها في الآية، أي شعيرة من شعائر الحج، ولكنه ذكر أن الصفا والمروة من الآثار التذكارية، وترجم (حج البيت) بزيارة مكة، والحج ليس مجرد الذهاب إلى مكة، وترجم (اعتمر) بزيارة بيت المقدس، وترجم (فلا جناح عليه أن يطوف بهما) بقوله: (فلا يجب أن يُضحي بشيء بشرط أن يطوف بهذين الجبلين الصفا والمروة)^(١)، ومن هذا التحريف المتعمد أراد هذا المستشرق ما يأتي:

١. أن المسلمين من محمد كاليهود من موسى - عليهما الصلاة والسلام - وهذا غير حق، ذلك بأن المسلمين

أحبوا رسولهم وأطاعوه واتبعوه، أما اليهود فقد خالفوا نبيهم وتركوا التوحيد، وعبدوا العجل وغيره.

٢. أن محمداً قيس من التوراة وألف قراناً مقتبساً من كتاب موسى عليهما الصلاة والسلام.

٣. في النص الثاني زيادة على التشويه الظاهر في الترجمة للنص أراد أن يُظهر أن القرآن الكريم يقر بوثنية العرب

فترجم (شعائر الله) بكلمة محرفة هي (الآثار) تزويراً للدلالة على الوثنية التي لا زال الإسلام عليها عن طريق الحج، وقصد بالطريقة نفسها ترجمة عبارة (فلا جناح عليه) بجملة (ألا يضحي) فيوضح أن الأمر في عبادة الحج لم يزد عما كان يفعله الجاهليون في حجهم.

وكذلك (سافاري) عندما فسر سورة الإخلاص فقال: (إن المحمديين يعتقدون بإله خالق السماوات والأرض،

يعاقب على الشرور ويجزي على الخير، ولكن تعاليم نبيهم المزيف جعلتهم يرفضون الأسرار النصرانية، ويسموننا بالمشركين لأننا نعبد ثلاثة في واحد)^(٢)، ومن نصه يؤخذ ما يأتي:

١. أن محمداً ﷺ في رأيه مزيف لأنه حارب عقيدة التثلاث.

٢. أن كلمة المحمديين عنده يريد أن يزعم أن المسلمين اتباع محمد ﷺ وليسوا أصحاب الدين الإسلامي.

٣. أن محمداً لا يُغفر له تزيفه برفض أسرار النصرانية.

ويزعم (مونتيه) أن هناك تعارضاً وتناقضاً وتنقيحاً في القرآن الكريم، وذلك ناتج عن عبث محمد ﷺ والعياذ بالله

بالقرآن، لأنه مزيف، وعبث الصحابة - رضي الله عنهم - به فيقول عن الآيتين: ﴿مَا نَسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] وقوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[النحل: ١٠١]: (إن هاتين الآيتين لم تكونا موجودتين في الأصل، بل أضافها فيما بعد العلماء المسلمون الذين اخترعوا

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) انظر المصدر السابق.

نظرية الناسخ والمنسوخ، لتسويغ ما في القرآن من آيات متضاربة^(١)، ويزعم أيضاً موثنيه أن أسلوب القرآن الكريم متأثر بكتابات سفر التثنية وأشعيا الثاني، ويوافقه في ذلك بارتليمي وكلمنت هوارت وبلاشير وكثير من المستشرقين، ويزعم بلاشير أن أسلوب القرآن يتصف بالعجز عن التعبير الصحيح، وأن أفكاره متقطعة، وأنه مليء بالأخطاء اللغوية والأسلوبية، حتى يشكك المسلمين فيه، ويصد غيرهم عن دين الله، ولذلك نجده عند تفسيره للقرآن الكريم يحذف بعض الكلمات والآيات ثم يختار نصاً من التوراة، ويزعم أن ذلك النص المنقوص من القرآن، ويضعه حيث يزعم أنه موضعه، وقد كرر مرات ومرات بأن القرآن الكريم تقليد زائف للتراث التوراتي المسيحي، ومن جملة تشويهم للدين الإسلامي أنهم يتهمون محمداً بالزندقة والنفاق والضلال، وأنه ادعى نزول الوحي عليه لتحقيق أغراضه، ونشر عقيدته بالقهر، وأنه لم يتورع عن نقض المعاهدات والقيام بالاعتيالات، فيزعم فولتير أن محمداً خائناً منافقاً يسرق التقاليد العربية القديمة، ووافقه على ذلك بلاشير وستانلي لين وسيل وغيرهم كثير^(٢)، ويزعمون أن القرآن الكريم كتاب مُختَرع بعناية فائقة من مصادر مختلفة مع مساعدات أجنبية متعددة، وأن مؤلفه كان أشنع مضلل للحقائق، ومستخف بالمقدسات، ومجدف تألى على الله الكذب والكفر في الوقت نفسه^(٣)، ومن أهم التشنيعات التي ردها المستشرقون أن محمداً لم ير جبريل - عليه السلام - ولا حقيقة لذلك الوحي، وأن محمداً قد تعلم طريقة يستجلب بها الوحي من داخله^(٤)، لا من وعيه بما يشبه التنويم الذاتي، ومع ذلك يظهر تناقضهم في تلك المسألة قمرة يقولون: إن القرآن من إنشاء محمد، ومرة أخرى من اليهودية والنصرانية، ومرة من التلمود اليهودي، ومرة أخرى أن اليهود هم المصدر الرئيسي للدين الإسلامي عن طريق الروايات الشفوية والروايات الدينية ذات الأصل التلمودي من يهود المدينة، ومن تشنيعهم ضد الدين الإسلامي زعمهم أن الدين الإسلامي انتشر بالسيف وليس بالدعوة عن طريق الحوار والإقناع!! وأن الإسلام أجبر الناس على الدخول فيه بالإكراه والإلجاء، وأن الإسلام نظم حملات الإغارة اللصوصية والنهب التي تشيع بين العرب في جاهليتهم ونقلها من الصعيد الفردي إلى الصعيد الجماعي، وأن الإسلام جعل السيف الأساس الذي تقوم عليه الدولة الإسلامية، وهم بهذا يؤكدون على أن الدولة الإسلامية قد قامت على أساس سياسي وليست على أساس ديني، وأنها تركز على سياسات التوسع والقهر والتجريد، يقول المستشرق (سيديو): (إن المسلمين أصحاب عقيدة ولكنهم توسلوا بالتعصب الأعمى وأخضعوا الناس لمبادئهم بالقهر والإرغام، وخاضوا إلى ذلك بحار الدم والقسوة، وأنهم كانوا يحملون القرآن بإحدى يديهم والسيف باليد الأخرى)^(٥)، ويقول آخر: (كان من الضروري لقيام ولدوام الإسلام أن يستمر في خطته العدوانية وأن ينفذ بحد

(١) انظر المصدر السابق (٤٦ - ٤٧).

(٢) تراجم القرآن الأجنبية في الميزان لأبي فراح (٥٧ - ٦٢).

(٣) انظر المصدر السابق.

(٤) منهج واط في دراسة نبوة محمد (١ / ٢١١ - ٢٣٦).

(٥) تاريخ العرب العام سيديو ل . م (١٣٣).

السيف ما يطالب به من دخول الناس في الإسلام كافة أو بسط سيطرته العالمية على الأقل^(١)، ولقد أخطأ أولئك الذين يزعمون أن الإسلام انتشر بحد السيف والقهر والاستبداد والتسلط خطأ فادحاً في زعمهم هذا، لأن الإسلام لم يكن يأتي ليصادر حرية التدين، وإنما جاء ليخير الناس بين خيارين: بين اعتناقهم الدين الحق وهو الإسلام، أو الإبقاء على ما كانوا عليه من عقائد باطلة، ومن حكمته أنه لم يترك الأمر دون توضيح عاقبة كل من الخيارين، فقد ركز على بيان عاقبة الإسلام وعاقبة ما سواه، ووضح بأن الإسلام هو الحق الذي لا سبيل بعده إلا الضلال: ﴿فَمَآذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرِفُونَ﴾ [يونس: ٣٢]، فالإسلام هو الدين الحق، وما سواه هو الباطل: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١] وقد جعل الإسلام بهذا قضية الإيمان منوطة بالحكمة والتعقل والتفكير والتدبر، وأطلق للعقل حرية الاختيار شريطة ألا يجنح إلى باطل، ويميل عن الحق أو يتخبط في غير هدى، فذلك من شأنه أن يفسد عليه صفاءه ونقاءه، ويشوش عليه الفطرة النقية السديدة، ويحول دون التوصل إلى قرار حاسم في جانب الحق أو اتخاذ موقف إيجابي في جانبه، يقول الله - تعالى -: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] فهذه الآية توضح قضية الإيمان في خيارين هما: القبول أو الرفض، ويقول الله - تعالى -: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَيَعْلَمُ﴾ [البقرة: ٢٥٦] فهذه الآية صريحة في الدلالة على عدم الإكراه في الدين، وهي صريحة في نفيه والنهي عنه، وهذا يضمن حرية الاعتقاد، ويعطي إرادة الإنسان فرصتها في الاختيار، فالإسلام لا يستخدم أساليب القهر والاستبداد والإجبار والتسلط، وإنما يستخدم أسلوب الحوار والإقناع والمجادلة بالحسنى، تقول زيجريد هونكه: (إن ما يلهث به المستشرقون حول انتشار الإسلام ومن أنه انتشر بالسيف، وأنه دين عدواني، ويصور المسلمين على أنهم مصاصي دماء، ترى أن هذه الفكرة، محض افتراء، ونعدها من مخالفات العصور الوسطى التي أشاهت صور الإسلام ودانت له بالعداء والبغضاء.. لقد لعب التسامح العربي دوراً حاسماً في انتشار الإسلام، وذلك على العكس تماماً من الزعم القائل بأنه قد انتشر بالنار والسيف وقد أصبح هذا الزعم من الأغاليط الجامدة ضد الإسلام، ولم تكن المؤسسة الروحية المسيحية وحدها هي التي لم تتوقع هذا التسامح، فعلى الرغم من مرور أكثر من اثني عشر قرناً من الزمان أي منذ القرن السابع الميلادي وهو القرن الذي بدأ فيه انتشار الإسلام فإن الغرب المسيحي لا يزال يتمسك حتى اليوم في قوله وفعله، وفي صحافته وكتبه وفي الرأي العام، وفي أحدث الدعايات يتمسك بالخرافة الطفولية التي تقول: إن الجيوش العربية قد قامت بعد وفاة محمد بنشر الإسلام بالنار والسيف في مناطق تمتد من نهر الهند حتى المحيط الأطلسي، وفي هذا الصدد أصبحت هذه الصيغة من العبارات الشائعة على الرغم من أنها تفتقد ما يؤيدها من حقائق التاريخ وحتى الواقع)^(٢)، فالسلم أساس قيام الدولة الإسلامية، وهو الحالة الأصلية التي تهيم

(١) دواعي الفتوحات الإسلامية للمصري (٤٠).

(٢) حضارة العرب لجوستاف لوبون (١١٢ - ١١٣)، الإسلام في مرآة الفكر الغربي لقرنوق (١٠٦).

للتعاون والتعارف وإشاعة الخير بين الناس عامة، فلذا يجب على العلماء والمثقفين تناول هذه المؤلفات المكذوبة وتفنيدها وبيان عوارها بالأدلة الصحيحة.

ثانياً: التنصير ومحاربة الدين الإسلامي: إن الغرب بدأ بعملية تنصير^(١) المسلمين، والتنصير حركة دينية سياسية استعمارية بدأت في الظهور إثر فشل الحروب الصليبية، بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث وبين المسلمين بخاصة، بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب، ويُطلق أيضاً على النشاط الذي يمارسه أفراد وهيئات ومنظمات أجنبية في الأراضي الإسلامية ضد العقيدة والمجتمع في الإسلام، ولذلك فإن مفهوم التنصير في البيئة الإسلامية هو ما يؤدي إلى إخراج المسلمين من دينهم وليس بالضرورة إدخالهم في النصرانية، ولذلك يقول المنصر (السموأل صموئيل زويمر): (ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية، فإن هذا هداية لهم وتكريماً، وإنما مهنتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، ولذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية وهذا ما قمتم به خلال الأعوام المائة السالفة خير قيام، وهذا ما أهنتكم وتهنتكم دول المسيحية والمسيحيون جميعاً)^(٢)، وفي المؤتمر التنصيري الذي عُقد بجبل الزيتون في القدس في فلسطين سنة (١٣٤٦هـ - ١٩٢٧م)، وحضرته أربعون دولة من الدول الغربية الصليبية، قام أحد أقطاب هذا المؤتمر قائلاً: (أتظنون أن غرض التنصير سياسته إزاء الإسلام هو إخراج المسلمين من دينهم ليكونوا نصارى؟ إن كنتم تظنون هذا فقد جهلتم التنصير ومراميه، لقد برهن التاريخ من أبعد الأزمنة على أن المسلم لا يمكن أن يكون نصرانياً مطلقاً، والتجارب دلتنا ودلت رجال السياسة النصرانية على استحالة ذلك، ولكن الغاية التي يرمي إليها هي إخراج المسلم من الإسلام فقط، ليكون مضطرباً في دينه، وعندها لا تكون له عقيدة يدين بها ويستترشد بهديها وعندها يكون المسلم ليس له من الإسلام إلا اسم أحمد أو مصطفى، أما الهداية فينبغي البحث عنها في مكان آخر)^(٣)(٤)، ولقد توسع التنصير أثر الانهزامات التي مُني بها الصليبيون طوال قرنين

(١) يجب استخدام كلمة التنصير بدلاً من التبشير، حيث إن الغرب يستخدمون كلمة التبشير من أجل التضليل، فالتبشير فكرة خبيثة، وبذرة فاسدة ملونة، ودعوة مكررة خادعة تقوم على أسس هدامة ماحقة للدين والعقيدة، ومدمرة للأخلاق والفضيلة، ظاهرها الرحمة، وباطنها العذاب والقسوة، وغرست بذورها زُمرة ملحدة موتورة، ونفذت أدوارها ومخططاتها أيد شريرة، قلوبهم مألَى بالحق والضعيفة، وقد تسترت بأقنعة الإحسان، وانتحلت صفات البر والفضيلة، وزعمت لنفسها حب الخير، ومحاربة الجريمة، وهي في الحقيقة داعية سوء، ومن أسوء معاول الهدم اللثيمة، ويظن بعض الناس أن المبشرين يأتون لنشر الدين على أنه هدفهم الأسمى، والحق أن نشر الدين أمر ثانوي جداً في جميع الحركات التبشيرية، وقد نجد أشخاصاً قليلين يمولون حملات تبشيرية على الشرق، ثم أفراداً قليلين أيضاً يأتون في هذه الحملات لينشروا الدين حباً في نشر الدين، واعتقاداً منهم بأنهم يقومون بعمل سام، مع أن الكثرة المطلقة من الذين يمولون تلك الحملات من الذين يأتون فيها لا صلة لهم بين أهدافهم الحقيقية وبين الذين يزعمون أنهم جاءوا لنشره، إننا إذا تأملنا العالم الغربي وجدناه عالماً ملحداً لا يؤمن بدين، وعالماً مادياً لا يعرف للروح معنى، إن أمريكا والدول الأوروبية قد غطت نصف الأرض بمبشرين يزعمون أنهم يدعون إلى حياة روحية، وسلام ديني!! إن الكثيرين من هؤلاء المبشرين في الأرض لم يأتوا في واقع الأمر للتبشير، فمنهم من يجب الأسفار والمغامرات، ومنهم من يطعم إلى السيطرة الشخصية وغيرها، حتى أن بعضهم استغل جمعيات التبشير لمصالحه الشخصية لإشباع أطماعه، ومنهم المكره والتجار الذين لا صلة لهم بالتبشير، وأصحاب الدعوات الذاتية الذين لا يتحلون بالأخلاق الحميدة والمؤرخون عادة لا ينكرون أن التبشير قد اتخذ الكثيرون آلة للتجارة، والسياسة، وأن المبشر لم يستطع التحرك من غاية وسيطرة حكومية. انظر موسوعة الطبائ للعلوم والمعارف (١٩٠١ - ١٩٠٢).

(٢) الموسوعة الميسرة (٢/ ٦٦٥)، الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم لعبد المحسن (٧ - ٨).

(٣) جذور البلاء لعبد الله التل (٢٧٥)، ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق النصرانية للجهان (١٢٧)، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية (٢٨)، التنصير مفهومة وأهدافه للنملة (٥ - ٣٥).

(٤) بذلك يتضح أن التنصير لا يهدف لإدخال الآخرين في الدين النصراني، وإنما لإخراجهم من دينهم وجعلهم بلا دين، وهم يقررون بأنفسهم على ذلك فشاهد شاهد من أهله.

من الزمان (١٠٩٩ - ١٢٥٤م) أنفقوها في محاولة الاستيلاء على بيت المقدس وانتزاعه من أيدي المسلمين، وعندما خابت أوروبا في الحروب الصليبية الأولى عن طريق الحرب، أرادت أن تثير على المسلمين حرباً صليبية جديدة عن طريق التنصير، وقد جاء هذا التحول بناءً على وصية القديس (لويس التاسع) ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية السابقة التي انتهت بالفشل ووقع لويس نفسه في الأسر والسجن، وأول من تولى التنصير هو الراهب (ريموندل) الإسباني عام (١٢٣٥ - ١٣١٥م)، وفعلاً نجحت مساعيه، فقد أمر يعقوب الأول ملك ميورقة بإنشاء كلية الثالوث المقدس لإعداد المبشرين، وقام (ريموندل) نفسه بإعدادهم فيها، ومن المؤسسات التي أسست في سوريا أوائل القرن الثالث عشر الميلادي مدارس الفرنسيسكان المنسوبة إلى القديس فرنسيس، والدومنيكان المنسوبة إلى القديس (دومنيك) وكان المنصر يُعد لهذه المهمة قبل أن يُرسل لمباشرتها، ومن أهم وسائل إعداده تعلمه اللغة العربية وشيئاً من الدراسات الإسلامية، وذلك هو الدستور الذي لا يزال سائداً حتى الآن، ومنذ القرن الخامس عشر الميلادي بدأ التنصير إلى تطويق العالم الإسلامي، ودخل المبشرون الكاثوليك إلى أفريقيا، وبعد ذلك أخذت ترد الإرساليات التبشيرية البروتستانتية^(١) الإنجليزية والألمانية والفرنسية إلى الدول الإسلامية، ومنذ عام (١٦٦٤م) حرك البارون (دويتز) ضمائر النصارى إلى تأسيس كلية تكون قاعدة لتعليم التبشير المسيحي، وقد ظهر إبان القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر المستر (كاري) الذي فاق أسلافه في مهنة التبشير، وكان للمبشر (هنري مارتن) (ت ١٨١٢م) يد طولى في إرسال المبشرين إلى بلاد آسيا الغربية، وفي سنة (١٨٩٥م) تأسست جمعية اتحاد الطلبة المسيحيين في العالم وهي تهتم بدراسة أحوال التلاميذ في كل البلاد مع العمل على بث روح المحبة بينهم (المحبة تعني التبشير بالنصرانية)، وقام الدكتور (لاتسبنج) مع بعض مساعديه بتشكيل مجموعة تنصيرية في ولاية نيوجرسي الأمريكية هدفها نشر الدين النصراني في بعض البلدان العربية، وكانت البداية في منطقة الخليج العربي والجزيرة العربية، ويُعد من أكبر أعمدة التنصير في العصر الحديث (صموئيل زويمر) رئيس إرسالية التبشير العربية في البحرين، ورئيس جمعيات التنصير في الشرق الأوسط، حيث كان يتولى إدارة مجلة العالم الإسلامي الإنجليزية التي أنشأها سنة (١٩١١م) وما تزال تصدر إلى الآن من هارتيفورد، وقد أسس معهد زويمر في أمريكا لأبحاث تنصير المسلمين، وخلف (صموئيل زويمر) (كنيث كراج) وهو رئيس قسم اللاهوت المسيحي في هار تيفورد (بأمريكا) وهو معهد للمبشرين، ويرى بابا الفتيكان أن من مصلحة الكنيسة ومصلحة رجال السياسة توجه عموم الشعب المسيحي وتجنده ضد الإسلام، ويقوم البابا بمغادرة مقره بمعدل أربع رحلات دولية سنوياً لكسب الصراع مع الأيدولوجيات العالمية وعلى رأسها الإسلام، وتوجد بلايين الدولارات تحت تصرفه للإنفاق منها على إرسال المنصرين وعقد المؤتمرات والتخطيط

(١) البروتستانت: فرقة من النصرانية احتجوا على الكنيسة الغربية باسم الإنجيل والعقل وتُسمى كنيستهم بالبروتستانتية حيث يعترضون على كل أمر يخالف الكتاب وخلص أنفسهم، وتسمى بالإنجيلية أيضاً حيث يتبعون الإنجيل دون سواه، ويعتقدون أن لكل قادر الحق في فهمه، فالكمل متساوون ومسؤولون أمامه، وتؤمن الكنيسة البروتستانتية بنفس أصول المعتقدات التي تؤمن بها الكنيسة الكاثوليكية ولكنها تخالفها في بعض الأمور منها: الخضوع لنصوص الكتاب المقدس وحده، ولا تؤمن بعصمة البابا أو رجال الدين، وتهاجم صكوك الغفران، وتؤمن بالتعميد والعشاء الرباني، ولا تؤمن بالصوم، ولا الأعياد التي تقيمها الكنائس الأخرى، ولا بالرهبة، وتمنع اتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس، وتؤمن بعض الكنائس الإنجيلية - الصهيونية - أن شرط المحييء الثاني للمسيح هو إقامة دولة إسرائيل في فلسطين. انظر الموسوعة الميسرة (٢/ ٦٢٥ - ٦٣٥).

لتنصير أبناء العالم الثالث، وتنظيم وتنفيذ ومتابعة النشاط التنصيري في كل أنحاء العالم أولاً بأول^(١)، وبعد أن ثار الغرب ثورة الحرية ضد الكنيسة، فتآزرت القوى العلمانية مع العصابات المتعددة في عملية التنصير الضخمة التي شحنت الغرب إمكانياته لإنجاحها، وبات من الواضح تحول الغرب من التنصير الفردي إلى التنصير الجماعي، لكون التنصير الجماعي يعني نقل أمة من الناس أو مدينة كاملة من الإسلام، والوسيلة لتحقيق ذلك هو استغلال الأزمات والكوارث^(٢)، وذلك بافتعالهم هذه الأمور، وهذا ما نص عليه مؤتمر كولورادو التنصيري، إذ جاء في إحدى فقراته: (لا بد من وجود أزمات معينة ومشكلات وعوامل إعداد وتهيئة تدفع الناس أفراداً وجماعات خارج حالة التوازن، في غياب مثل هذه الأوضاع المهيئة فلن تكون هناك تحولات كبيرة إلى النصرانية) ولن يتوقف النصارى عند هذا الحد، إذ صرحوا بلزوم التدخل في شؤون الدول التي فيها أقليات نصرانية بزعم حمايتها من اضطهاد المسلمين مع أن هذه الأقليات تُحظى في بلاد المسلمين بما لا يحظى به المسلمون في الرعاية والتكريم، بل والذلة لهم وتنفيذ مطالبهم، وإظهار شعائر شركهم تحت قيادة الحكومات العلمانية، ولذلك يسعى المخطط التنصيري، إلى تحقيق مجموعة من الأهداف في البلاد الإسلامية، فالمنصرون يعتبرون الإسلام هو الدين الوحيد الخطر عليهم لأنه كما يسمونه دين متحرك زاحف يمتد بنفسه وبلا أية قوة مساعدة، ومن أهدافهم الحيلولة دون دخول النصارى في الإسلام، فالمنصرون يشنون هجومهم على الإسلام خوفاً على قومهم من معرفته أكثر من رغبتهم في تنصير المسلمين، والحيلولة دون دخول الأمم الأخرى - غير النصرانية - في الإسلام والوقوف أمام انتشار الإسلام بإحلال النصرانية مكانه، وإخراج المسلمين من الإسلام، ذلك لأنه يسعى إلى هدم الإسلام في قلوب المسلمين، وبذر الاضطراب والشك في المثل والمبادئ الإسلامية، لمن أصروا على التمسك بالإسلام، ولا شك أن إرساليات التبشير من بروتستانتية وكاثوليكية تعجز عن أن تزحج العقيدة الإسلامية من نفوس منتحليها، ولا يتم لها ذلك إلا ببت الأفكار التي تتسرب مع اللغات الأوروبية، بنشرها اللغات الإنجليزية والألمانية والهولندية والفرنسية، فتمهد السبل لتقدم إسلامي مادي، والإيحاء بأن المبادئ والمثل والتعاليم النصرانية أفضل من أي مثل ومبادئ أخرى والإيحاء بأن تقدم الغربيين الذين وصلوا إليه إنما جاء بفضل تمسكهم بالنصرانية، وتعميق فكرة سيطرة الرجل الغربي الأبيض على بقية الأجناس البشرية الأخرى وترسيخ مفهوم الفوقية والدونية، ومن ثم تخضع الشعوب الإسلامية للرجل الأبيض ومن ثم تهيئة الأجواء لقبول ما يُسمى بالعمولة أو الكوكبة، وما يمنع هذا النظام من توحيد الأيدولوجية^(٣) السياسية العالمية، وإزالة

(١) الموسوعة الميسرة (٢/ ٦٦٥ - ٦٦٨)، الغارة التنصيرية على القرآن (٣١ - ٣٣)، التنصير تعريفه ووسائله للصالح (٥٥ - ٦٣)، الاستشراق - المعرفة - السلطة الإنشاء - إدوارد سعيد (٢٥ - ٧٠).

(٢) المستشرقون للعقيق (٢/ ٥٦٩).

(٣) الأيدولوجيا: كانت بداية أمرها تعني العلم الذي يدرس الأفكار، أي: علم الأفكار، فيُعرف قاموس ويبستر الأيدولوجية بأنها: دراسة لطبيعة ومصدر الأفكار، ثم وقع للمصطلح تحولات لتصبح الأيدولوجيا مجموعة الأفكار التي تشكل أساس نظام سياسي واقتصادي واجتماعي معين، وفي خلاصة قدمها الدكتور مصطفى عشوي عن التنظير الأيدولوجي بأنه تنظير يتأثر بما يأتي: بالنسق الفكري المهمين على مجتمع ما والذي تحميه طبقة معينة أو نظام معين قائم.

مجموعة من التصورات المسبقة والأحكام التقييمية التي تكوّن اتجاهات ومواقف سلوكية قد تخفي دوافع لا شعورية لحماية الذات والجماعة التي ينتمي إليها الفرد.

الحواجز الثقافية وتذويب الفروق بين المجتمعات الإنسانية المختلفة، والدعوة إلى ما يشبه الدين العالمي، وترسيخ فكرة قيام دولة ووطن قومي لليهود في أي مكان أولاً ثم في فلسطين المحتلة بعدئذ، أخذاً في الحسبان أن الإنجيل (العهد الجديد) بعد تحريفه بأيدٍ يهودية يتضمن تعاليم تدعو إلى هذه الفكرة، والتقريب وذلك بالسعي إلى نقل المجتمع المسلم في سلوكياته من أصالته الإسلامية، إلى تبني الأنماط الغربية برمتها، وإعداد عدد كبير من البلاد الإسلامية وغيرها وبخاصة أفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية يؤمنون بهذه الأفكار بل يزعمون أن جهودهم وسعيهم في تنصير المسلمين يستمر حتى يرتفع الصليب في سماء مكة، ويُقام قُداس الأحد في المدينة، ومحاربة الوحدة الإسلامية لأنها تجمع آمال الشعوب الإسلامية، وتساعد على التخلص من السيطرة الغربية، ولقد حاول الغرب تشجيع التنصير بعدد من الوسائل من أهمها: المؤتمرات وإنشاء الجمعيات المختلفة في أصقاع العالم الإسلامي، واهتمامه بالإعلام والسيطرة مع بث الأفكار التي يريد أن ينشرها، والدعاية للمسيح ﷺ وأن دعوته دعوة عالمية، ونشر الدعايات لكتابهم المقدس، ولدينهم، والسيطرة على التعلم والتعليم والمعاهد والجامعات والخدمات الاجتماعية المجانية، والاهتمام بالمرض والمرضى وبالطب عامة، واستغلال حاجة المسلمين إلى الأيدي العاملة، واستغلال المرأة والتحكم في الصناعات والتجارة، وتشجيع تحديد النسل ومحاصرة الإسلام بكل الطرق والوسائل، وتأليب الحكام على المصلحين، والسخرية بعلماء المسلمين، وتحبيب الأطفال إلى الصليب وأعياد الميلاد وغيرها، ومن الدول التي كان التنصير فيه على أشده: السنغال، وإندونيسيا، وتايلاند، والسودان، والبحرين، والكويت، وعمان، وقطر، والإمارات، وعندما نجد الأعداد الغفيرة التي قام بها المنصرون بتنصيرهم في تلك الدول يصل إلى حد الدهشة والاستغراب من المخطط النصراني الماكر في طريقه عن طريق التنصير.

ثالثاً: الماسونية : الماسونية مذهب فكري هدام، وحركة من أخطر الحركات التي أفرزتها عقلية اليهود الحاقدة، لإحكام قبضتها على العالم وحكمه وفق إرادة اليهود، ووقف مخططاتهم الرهيبة للقضاء على أديان وأخلاق الجويم – كما يسمونهم – سواءً أكانوا من المسلمين أو من النصارى أو من غيرهم مع التركيز الخاص على المسلمين بالذات.

الماسونية في اللغة: لم تورد معاجم اللغة العربية تعريفاً للماسونية، في حين أشارت بعض المصادر إلى أن الماسونية في اللغة (البناءؤون الأحرار)^(١)، فالماسونية كما عرّفها بعض الكتّاب في اللغة مشتقة من الكلمة الفرنسية فرماسون وهي مركبة من مقطعين وهما فرانك ومعناها بالفرنسية الصادق أو الحر، وماسون ومعناها: الباني، والبعض يرى أنها مشتقة من

والأيدولوجيا: مصطلح قدحي يطلق على التيارات الفكرية المعاصرة والعلمانية، ويوازيها من جهة في الاصطلاح الإسلامي الفرقة والبدعة والأهواء، ولكن لأنه غلب على المعاصرة أنها لا دينية فقد أخذ لها هذا المصطلح، بحيث يفرق بين الفرقة التي تدور حول موضوعات دينية وبين الأيدولوجيا التي تدور حول موضوعات فكرية منفصلة عن الدين وربما معادية له، وهذا المعنى هو الذي ينادي به العصرانيون، والأيدولوجيا في الماركسية عبارة عن وعي زائف هو انعكاس الواقع الاجتماعي، ويشير المصطلح أيضاً إلى كل مذهب تستلهمه الحكومات أو الأحزاب وتستمد منه آراءها ومواقفها، ويفضل الدكتور طه عبد الرحمن استعمال الفكرانية قياساً على العقلانية لأن الأيدولوجيا مصطلح واسع قد يحوي الصحيح وغيره. انظر العلوم الاجتماعية بين التنظير العلمي والتنظير الأيدولوجي لقسوي (٢٤٤)، معجم المصطلحات والشواهد (٧١)، الموسوعة الفلسفية العربية (١٥٨)، قاموس المصطلحات (٧٧)، تجديد المنهج في تقويم التراث (٢١ - ٢٥)، مفاتيح العلوم الإنسانية لدكتور خليل (٣١٧).

(١) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام للخطيب (٤٥٢)، الموسوعة الميسرة (١ / ٥١٠)، الماسونية بأوثاقها المعاصرة لصالح (١١٧).

الكلمة الإنجليزية فري ماسون، وهي بنفس المعنى، إذاً معنى الكلمة: الباني الصادق أو الباني الحر، فالماسونية طبقاً لذلك هم: البنائون الأحرار، وهو اسم مضلل لا يُعبر حقيقة عن هذا التنظيم ورأى بعض المؤلفين أن لفظ (الماسونية) معظم حروفها مشكلة من كلمة موسى ﷺ فالميم في الماسونية هي الميم في موسى، والألف هي الواو منقلبة ألفاً، والسين هي السين، والواو هو الواو، والنون هي النون التي تُلحق بياء النسب مثل النون في رباني نسبة إلى الرب^(١)، والبعض الآخر لا يوافق على تلك النسبة وعلاقتها بموسى ﷺ حيث قالوا: بأنهم لو أرادوا النسبة إلى موسى ﷺ لقالوا: موسية أو موسوية^(٢).

الماسونية في الاصطلاح: هي منظمة يهودية سرية هدامة، إرهابية، غامضة محكمة التنظيم تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم، وتدعو إلى الإلحاد والإباحية والفساد، وتتستر تحت شعارات خداعة: حرية، إخاء، مساواة، إنسانية^(٣)، وقيل إنها جمعية سرية تحوي حشداً من الناس ينتمون إلى مذاهب وديانات ونحل وجنسيات وأوطان مختلفة، تضم الملحد والمؤمن والشيوعي والديمقراطي، والدكتاتوري، والعلماني والقومي، ورب العمل، تجمعهم غاية واحدة ويعملون لها ولا يعلم حقيقتها إلا أحاد، وسواد أعضاء الجمعية عُمي القلوب، يجهلون كل الجهل، ويوثقهم عهد بحفظ الأسرار وعدم البوح^(٤).

وقد أُطلقت على الماسونية عدد من الأسماء منها: ماسونية، أمسونية، أو مصونية، والماسونية أو الأمسونية: هي نسبة إلى جمعية تألفت بعد مجيء اليهود من بابل في أسرهم المشهور، وهذه الجمعية تنتسب إلى اليهود الذين بنوا هيكل سليمان الذين لقبته هذه الجمعية بالبنائين الأحرار وأما المصونية: فهو إطلاق لبعض الكتّاب، أو إنه أخذ من صيانتهم للأسرار، ومن الأسماء لها القوة الخفية وهو الاسم القديم للماسونية عند نشأتها، والفرمسون وهي كلمة فرنسية مكونة من كلمتي (فري) و (ماسون) أي العامل أو البناء، و (فري) أي الحر الصادق، ومن أسماءها: المنورين وهو تسمية الماسونيين في المانيا، والفحّامين وهو تسمية للماسونيين في إيطاليا، ومن الأسماء التي يُطلق عليها: البنائون الأحرار أو الرفاق البنائون^(٥).

الماسونية ومحاربة الدين الإسلامي: لقد قامت الماسونية في الأساس على محاربة الأديان، ولذلك افتروا على الله

— عزوجل — وعلى نبيه محمد ﷺ وعلى القرآن الكريم، فزعم دعاة الماسونية أن محمداً ﷺ ليس نبياً مرسلًا من الله

(١) الماسونية تحت الأضواء (١٠).

(٢) المذاهب الفكرية المعاصرة لعواجي (١ / ٤٩٢).

(٣) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام للخطيب (٤٤٩)، مواجهة الغزو الفكري ضرورة إسلامية (٨٩)، السر المصون في شيعية الفرمنسون لشيخو (١٤) الموسوعة المفصلة (٢ / ٢٦١)، الموسوعة الميسرة للندوة العالمية (١ / ٥١٠)، الماسونية في أنوارها المعاصرة لصالح (١٧).

(٤) الماسونية لقطار (٩)، الماسونية وموقف الإسلام منها للرحيلي (١٤)، الماسونية في العراق للزعي (٢٢)، أسرار الماسونية لإتلخان (٢٦).

(٥) الماسونية تحت الأضواء (١٠).

- تعالى - وأنه لا نبي بعد موسى، وأن محمداً ﷺ كان زعيماً لشريعة من أعداء الإيمان والبشرية، وأن القرآن الكريم ليس من الله - تعالى - وإنما هو كلام استقى محمد ﷺ مفهومه من التوراة والإنجيل، فهم يكفرون بالله ورسله وكتبه وبكل الغيبات ويعتبرون ذلك خزعبلات وخرافات، ويعملون على تقويض الأديان، ويعملون على إسقاط الحكومات الشرعية وإلغاء أنظمة الحكم الوطنية في البلاد المختلفة والسيطرة عليها وعلى العالم، ويقومون بإباحة الجنس واستعمال المرأة كوسيلة للسيطرة، ويقومون على تقسيم غير اليهود إلى أمم متنازعة تتصارع بشكل دائم، وعلى تسليح هذه الأطراف وتدمير حوادث لتشابكها، مع بث سموم النزاع داخل البلد الواحد وإحياء روح الأقليات الطائفية العنصرية، مع السعي لتهديم المبادئ الأخلاقية والفكرية والدينية ونشر الفوضى والانحلال والانحراف الفكري والإرهاب والإلحاد، ثم استعمال الرشوة بالمال والجنس مع الجميع وخاصة مع ذوي المناصب الحساسة لضمهم لخدمة الماسونية، مع إحاطة الشخص الذي يقع في حبالهم بالشباك من كل جانب، لإحكام السيطرة عليه وتسييره كما يريدون، والشخص الذي يلبي رغبتهم في الانضمام إليهم يشترطون عليه التجرد من كل رابط ديني أو أخلاقي أو وطني، وأن يجعل ولاءه خالصاً للماسونية، وإذا تملل أو عارض في شيء تُدبر له فضيحة كبرى وقد يكون مصيره القتل، وكل شخص استفادوا منه ولم تعد لهم به حاجة يعملون على التخلص منه بأي وسيلة ممكنة، وتعمل الماسونية على السيطرة على رؤساء الدول لضمان تنفيذ أهدافهم التدميرية، مع السيطرة على الشخصيات البارزة في مختلف الاختصاصات لتكون أعمالهم متكاملة، والسيطرة على أجهزة الدعاية والصحافة والنشر والأعلام واستخدامها كسلاح فتاك شديد الفاعلية، مع بث الأخبار المختلقة والأباطيل والدسائس الكاذبة حتى تصبح كأنها حقائق لتحويل عقول الجماهير وطمس الحقائق أمامهم، مع دعوة الشباب والشابات إلى الانغماس في الرذيلة، وتوفير أسبابها لهم، وإباحة الاتصال بالمحارم، وتوهين العلاقات الزوجية، وتخطيم الرباط الأسري، والدعوة إلى العقم الاختياري وتحديد النسل عند المسلمين، والسيطرة على المنظمات الدولية بترأسها من قبل أحد الماسونيين كمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، ومنظمات الأرصاد الدولية، ومنظمات الطلبة الشباب والشابات في العالم، والماسونيون يتكاتفون ويحمون بعضهم البعض بشكل كبير، وهم يوزعون كراسيهم بين بعضهم بكرم وأخوة، ويتقاسمون الأموال بينهم فقط، وما زالت الماسونية تقوم بدور الحرب الخفية ضد الإسلام، وتنشر أوكارها وروافدها الجديدة في كل دول العالم الإسلامي خصوصاً بعد أن انكشف دورها وافتضح أمرها وأُغلقت محافلها في معظم بلدان العالم الإسلامي، فقد حاولت أن تظهر من جديد ولكن تحت أسماء جديدة ووجوه مختلفة وأثواب متباينة مثل الروتاري^(١) والليونز^(٢) وبناي برث^(١) (أبناء العهد)، والمائدة المستديرة، والإخاء الديني، وجمعية أنصار السلام^(٢)، فالماسونية خطر

(١) الروتاري: جمعية ماسونية يهودية تضم رجال الأعمال والمهن الحرة، تنظاهر بالعمل الإنساني من أجل تحسين العلاقات بين البشر، وتشجيع المستويات الأخلاقية السامية في الحياة المعينة وتعزيز البنية الصادقة والسلام في العالم، والغرض الحقيقي لها: هو أن يمتزج اليهود بالشعوب الأخرى باسم الود والإخاء، وعن طريق ذلك يصلون إلى جمع معلومات تساعدهم في تحقيق أغراضهم الاقتصادية والسياسية وتساعدتهم على نشر عادات معينة تُعين على التفسخ الديني والاجتماعي. انظر الموسوعة المفضلة (٢/ ٣٠٤ - ٣١٨).

(٢) الليونز: مجموعة نواد ذات طابع خيري اجتماعي في الظاهر، لكنها لا تعدو أن تكون واحدة من المنظمات العالمية التابعة للماسونية التي تديرها أصابع يهودية بغية إفساد العالم وإحكام السيطرة عليه. انظر المصدر السابق (٢/ ٣٠٩ - ٣١٢)، الموسوعة الميسرة (١/ ٥٣٩ - ٥٤٣).

كامن وراء الرموز والألغاز والطلاسم، وسلاح يستخدمه اليهود لتطويع الشعوب وخاصة الإسلامية منذ قرون عديدة مستترة برداء الحرية والمساواة والإخاء، أما مهمتها الحقيقية فصقل أحجار صالحة لبناء الهيكل وتدريب فرسان حكماء يتقنون انتزاعه بحكمة وشجاعة، ثم ترويض أسود لحمايته^(٣)، فعداء اليهود للرسالات السماوية عداء متمكن في الشخصية اليهودية، ولذا فعندما بُعث النبي محمد ﷺ بدين الإسلام كخاتم الأديان السماوية، لينسخ ما قبله من الديانات وليتم ويختتم مهمة الرسل، ولما كان اليهود يعلمون من كتبهم وأسفارهم أنه خاتمة الأديان، فقد ناصبوه العدا، حقداً وغلاً وحسداً، محاولين طمسه تحقيقاً لحلم يراودهم منذ قديم الزمان بالسيطرة على العالم أجمع لإقامة الحكومة اليهودية العالمية، وفي سبيل تحقيق مآربهم ابتدعوا طرقاً متعددة ملتوية للقضاء على الدين الإسلامي ومن هذه الطرق الماسونية، ومنذ ظهور الإسلام لم يأل اليهود ثم الماسونية اليهودية جهداً في مقاومته ودس الدسائس وبث الفتن التي تضعف من شأنه، وإمعاناً في الإلحاد الماسوني نجد أن اللائحة النهائية للمجمع الرسمي للماسونية الهولندية تشير إلى أنه: (ليس الماسونية سوى نكران جوهر الدين، وإن قال الماسون بوجود الإله، فإنهم يريدون به الطبيعة وقواها المادية، أو جعل الإله والإنسان كشيء واحد)^(٤)، وبذلك ينتشر الفكر المنحرف في المجتمع عن طريق دسائسهم.

رابعاً: العلمانية: يحاول أعداء الإسلام الكيد له بصور متعددة، بإدخال مفاهيم ومصطلحات لا تتناسب والدين الإسلامي، ونتيجة لإدراك أعداء الإسلام بما يمثله تطبيق التشريع الإسلامي من قوة على كافة تنظيم الحياة، من الأنظمة السياسية والاقتصادية والأخلاقية والاجتماعية وغيرها، لذا حاولوا الفصل بين الدين والدولة وهو ما عُرف اصطلاحاً بالعلمانية، كمحاولة لإبعادهم الإسلام عن واقع الحياة الإسلامية، وإحلال القوانين الغربية محل التشريع الإسلامي، فلذا لابد من تعريف العلمانية في اللغة والاصطلاح.

العلمانية في اللغة: عدم المبالاة بالدين أو بالاعتقادات الدينية، وهي خلاف الديني والكهنوتي، وما ليس كنسياً ولا دينياً، والصحيح أن مصطلح العلمانية قد دخل إلى اللغة العربية من المصطلح الإنجليزي (Spaulrism) ومصطلح (Laicism) وترجمتها الصحيحة تعني اللادينية أو الدنيوية، أو فصل الدين عن الدنيا ولا صلة لها بالعلم (Science) ولا بالعلمية أو المذهب العلمي^(٥).

(١) بني برث (أبناء العهد) جمعية من أقدم الجمعيات والمحافل الماسونية المعاصرة وذراع من أذرعتها الهدامة وخدمتها موجهة أساساً لدعم الصهيونية في العالم، والتقاط الأخبار، واحتلال مراكز حساسة في الدول، وهي مكلفة بدراسة نفسية كل قائد أو سياسي أو زعيم أو أي شخصية عامة للاستفادة من جوانب الضعف فيها. انظر الموسوعة الميسرة (١/ ٥٢٧ - ٥٣١)، الموسوعة المفصلة (٣٠٠ - ٣٠٣).

(٢) الموسوعة الميسرة (١/ ٥١١ - ٥١٣)، الماسونية في أئوامها المعاصرة (٢٩)، هذه هي الماسونية فاقطعوا جذورها محمد (١٢)، الماسونية وموقف الإسلام منها للرحيلي (٢٤)، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية (٢٤٨)، المذاهب المعاصرة لعميرة (٢٥)، أوقفوا هذا السرطان للبستاني (١٠٩).

(٣) انظر المصادر السابقة.

(٤) السر المصون في شيعة الفرسمون لشيخو (٢٦).

(٥) المعجم الوسيط (٢/ ٦٤٧)، المعجم العربي (٧٣)، المورد (٢٠١)، دور الإعلام في مواجهة العلمانية المعادية لشكري (١٢).

العلمانية اصطلاحاً: هي دعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل ومراعاة المصلحة بعيداً عن الدين^(١).

وتشير دائرة المعارف البريطانية إلى أنها حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس عن الآخرة والاهتمام بالحياة الدنيا وحدها^(٢)، وأما دائرة المعارف الأمريكية فقد أشارت إلى أنها: نظام أخلاقي أُسس على مبادئ الأخلاق الطبيعية ومستقل عن الديانات السماوية أو القوى الخارقة للطبيعة، وأن المبدأ الأول هو حرية الفكر^(٣)، فالعلمانية هي تكريس للديوية، والعلمانية أساس هذا التكريس لأن العلم بمفهومها هو العلم المادي والتجريبي والطبيعي - أي: الديوي فقط - ولا تعترف بعلوم غيبية ميتافيزيقية أخرى، فالعلمانية وإن لم ترتبط بالعلم من حيث الاشتقاق لكنها لا تنفك عنه إذ هي ارتبطت تاريخياً بعلم العلوم العقلية والطبيعية والتجريبية.

العلمانية ومحاربة الدين الإسلامي: لقد تضافرت جهود علماء اللادينية وتعالّت أصواتهم يصدّق بعضها بعضاً

في حملتهم على الدين والتدين والقائمين عليه، يصفونهم بالجهل والغباء والنزق والتطرف ومعاداة الحياة السعيدة إلى آخر ما جاءت به قرائحهم من فنون الشتائم للدين وأهله وللمتمسكين بالحياة والحشمة، ومع ذلك يتظاهر هؤلاء إنهم حتى وإن كانوا ينادون باللا دينية، إلا أنهم ليسوا ضد الدين، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، فهذا هو شرع التمدن الجديد الذي لا حجر فيه على أي معتقد فمن شاء أن يذهب إلى المسجد أو الكنيسة فليذهب ثم ليخرج إلى حوانيت الخمار وأماكن الدعارة ويمارس الفواحش كيفما يحلو له، كل هذا يتفق تماماً مع التطور الجديد، وهذا من غرائب ما اهتدى إليه اللادينيون بعقولهم لتي انفلتت عن الأديان، بل عن الله - عزوجل - وأحلت محل الله شركاءهم فجعلوهم محل التقديس والإكبار تحت مسمى إنسانية الإنسان والطبيعة والصدفة والقوانين الأخرى التي اكتشفوها وأحلوها محل الله - عزوجل - وغير ذلك من الشركاء الذين حادوا بإيجاد هذا الكون وما فيه حسب تصوراتهم السقيمة، هذا إلى جانب ضجيج دعاة الحرية والفن والانطلاق، وبعد أن كان الشر منثوراً بين الناس أصبح منظماً وله قوانين ودعايات وكتاب ملأ الدنيا ضجيجاً بواسطة هذه الأجهزة التي أصبحت مصدر خطر، وأما خطر على كل من الفضائل، لأنهم أساءوا استعمالها واستبدلوا فيها الذي هو أدنى بالذي هو خير، وشبت أجيال على هذا الانحراف ولا يدري إلا الله - تعالى - أين سيقف دعاة العلمانية بالبشرية، ومن الخطط التي تقوم بها العلمانية: تمييع الفوارق بين الدين ومختلف الاتجاهات، فلا فرق بين أن يكون الشخص متديناً أو غير متدين، مسلماً أو غير مسلم، واخترعوا رباطاً يشمل جميع أفراد الشعوب وديانتهم المتعارضة، وهو رباط الوطنية الذي أحلّوه محل رباط الإيمان والتقوى وعبادة الله وحده، ومنها الاستهزاء بالدين وتعاليمه والقائمين عليه، وتشجيع التحرر من كل فضيلته أو خلق أو عفة، واعتبار التمسك بأوامر الشرع ونواهيه تخلفاً وجوداً

(١) الموسوعة الميسرة (٢/ ٦٨٩)، الموسوعة المفصلة (٢/ ٨٤٢ - ٨٤٣).

(٢) الاتجاهات الفكرية المعاصرة لجريشة (٧٣).

(٣) مذاهب فكرية معاصرة لقطب (٤٤٥).

وعدم مسايرة تطور الحياة، مع اشتغال المسلمين بقضايا هامشية، بعد أن ضخموا أمرها وأضرموا الخلافات فيها ليتلهى بها الناس فيما بينهم لكي تبعدهم عن النظر إلى واقعهم وما يبئ لهم من غزو فكري قبل الغزو الفعلي، ومنها صرامتهم في مراجعة كل حركة تؤدي إلى إحياء الدين في نفوس الناس سواء كانت عن طريق الكلام أو الكتابة أو الصحافة، واعتبار كل من له اهتمام بالدين والدعوة إليه متخلفاً أو عدو للشعب وغير ذلك من إصااق شتى التهم بأهل الخير والإصلاح والتدين، مع تضخيم كل ما يتوصلون إليه عن طريق العلم وإطرائه بشتى المذائح وربطه بالتمسك بالعلمانية، والتحرر من كل قيود الدين المتخلف، وقاموا بعلمنة التعليم الديني وذلك عن طريق الازدراء بالتعليم الديني، وازدراء المعلم والطلاب، ونقل الوظائف اللامعة في وجوه خريجه وخفض رواتبهم، وتقليص العلم الديني، وازدياد التعليم العلماني، مع الاهتمام بنشر التعليم العلماني وذلك عن طريق اهتمام الدولة به، وابتعاث الناشئة وانتشار المدارس الأجنبية وتشجيع الاختلاط^(١)، وبذلك انتشرت العلمانية في السلوك، والهجوم على اللغة العربية، والأخلاق الإسلامية، والآداب والإعلام، وبذلك يحصل الانحراف الفكري لدى المجتمع المسلم.

خامساً: الشيوعية: الشيوعية مذهب هدام إباضي، ظالم من أسوء ما عرفته البشرية من مذاهب وُجدت على ظهر الأرض، كانت لها صولة وجولة إبان حكم طغاتها في الاتحاد السوفيتي - سابقاً - وكادت أن تطغى على جميع البلدان لولا أن الله - تعالى - بخفي لطفه وقوته عاجلهم بالعقوبة قبل فترة ليست بالطويلة على يد جوربا تشوف فزالت، فلذا لابد من تعريف الشيوعية في اللغة والاصطلاح.

الشيوعية في اللغة: أنها مذهب يقوم على إشاعة الملكية، وأن يعمل الفرد على قدر طاقته، وأن يأخذ على قدر حاجته^(٢)، وأنها مذهب اجتماعي اقتصادي يرمي إلى جعل وسائل الانتاج مشتركة، وإلى توزيع الممتلكات والمنتجات بحيث يصيب كل إنسان منها حاجته، وإلى القضاء على الطبقة الاجتماعية الاقتصادية، مع تكليف كل فرد أن يعمل بحسب قدرته^(٣).

الشيوعية في الاصطلاح: أنها مذهب فكري يقوم على الإلحاد، وأن المادة هي أساس كل شيء، ويفسر التاريخ بصراع الطبقات، وبالعامل الاقتصادي^(٤)، وهي تصور شامل للكون والحياة والإنسان وللألوهية، وعلى هذا التصور

(١) الاتجاهات الفكرية المعاصرة (١١١).

(٢) المعجم الوسيط (١/ ٥٢٣).

(٣) الرائد لجبران مسعود (٩٠٣).

(٤) الموسوعة الميسرة (٢/ ٩٢٩).

الشامل ينبثق المذهب الاقتصادي، ثم أنه من جهة أخرى مذهب اقتصادي واجتماعي وسياسي وفكري مترابط متشابك لا يمكن فصل بعضه عن بعض^(١).

الشيوعية ومحاربة الدين الإسلامي: يقوم الفكر الشيوعي على إنكار وجود الخالق - سبحانه وتعالى - وأن المادة هي أساس كل شيء، وقد وضع أسسها الفكرية النظرية كارل ماركس اليهودي الألماني وهو حفيد الحاخام اليهودي المعروف مردخاي ماركس، ثم وُضعت الشيوعية موضع التنفيذ في الثورة البلشفية في روسيا سنة ١٩١٧م بقيادة لينين واسمه الحقيقي فلاديمير البتش بوليانوف، وبما أنه يهودي فقد قامت ثورته على المخططات اليهودية الماسونية^(٢)، التي قررت خراب روسيا العنصرية، وإعلان حربها على الإسلام، فأطلقت العديد من الإشاعات الكاذبة، واتهمت المسلمين بالتخلف والرجعية، وقضت على ملايين المسلمين، وهدمت معظم المساجد في الجمهوريات المسلمة، وتزعم الشيوعية أن القرآن الكريم: الكتاب المقدس الأساسي للمسلمين هو مجموعة من المواد الدينية والأسطورية القانونية، وقد وُضع القرآن وشُرع خلال حكم ثالث الخلفاء العرب عثمان، ثم أُدخلت عليه فيما بعد حتى بداية القرن الثامن بعض التغيرات، ووفقاً للتراث الإسلامي للتاريخ الديني يُعتبر محمد هو مشرع القرآن كما يُعتبر مؤسس الإسلام، وعلى أنه وفقاً للتحليل الموضوعي للقرآن هناك نظرية تقول: إن جزءاً معيناً منه فقط ينتمي لعصر محمد، أما الأجزاء الأخرى من هذه المجموعة فلا بد أنها تنتمي لعصور متقدمة أو متأخرة عنه، ويمكن أن يتبين هذا من وجود عدد من الأساليب المختلفة في القرآن، يمكن أن تُعزى لتطور اللغة العربية ولزمن ظهور السور ومكانها، وتستخدم الطبقات الاستقلالية القرآن ورجال الدين الإسلامي الرجعيين سلاحاً لخداع الجماهير الكادحة ولكبحها^(٣)، ولقد قامت الشيوعية بأمر ومخططات للقضاء على الإسلام والمسلمين ومن تلك المخططات: مهادنة الإسلام لتتم الغلبة عليه، والمهادنة لأجل ضمان السيطرة وجلب الشعوب العربية الإسلامية لها، مع تشويه سمعة العلماء والفقهاء والمجتهدين والمفتين والحكام المتدينين واتهامهم بالعمالة للاحتلال والصهيونية، مع الحيلولة دون قيام حركات دينية في البلاد، والضرب بعنف لكل من يدعو للدين الإسلامي، مع تنفير الناس من الدين الإسلامي بأسلوب لا ينم على معاداة الإسلام، وتشجيع الكُتّاب الملحدون وإعطائهم الحرية في مهاجمة الدين الإسلامي، وإيهام الأمة بأن الإسلام انتهى عصره، وقطع الروابط الدينية الإسلامية بين الشعوب قطعاً باتاً، وإحلال الشيوعية الاشتراكية محل الرابطة الإسلامية، وهضم روابط الدين ومحوه من ضمير الأمة الإسلامية مع خداع الناس بأن المسيح ﷺ اشتراكي، أما محمد ﷺ فهو إمام الاشتراكيين، وتفسير القصص الإسلامية الواردة في القرآن الكريم تفسيراً مادياً اشتراكياً، وإشغال الأمة الإسلامية بالشعارات الشيوعية الاشتراكية، وتحطيم القيم الروحية، ونشر الأفكار

(١) الموسوعة المفصلة (٢/ ٩٢٣).

(٢) الموسوعة الميسرة (٢/ ٩٣٥)، الموسوعة المفصلة (٢/ ٩٣٠ - ٩٤٠).

(٣) احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام لصالح (٩٢ - ١٠٠).

الإلحادية وتصحيح المفاهيم الإسلامية وتنقيتها من الشوائب - على حسب زعمهم - وتحت شعار الإسلام يتم القضاء عليه واستبداله بالشيوعية فلم تترك الشيوعية أمراً من أمور الأمة الإسلامية إلا وتدخلت به بطرق ملتوية حتى تصل إلى مرادها مما أدى إلى ضعف الأمة الإسلامية، وضعف المجتمع الإسلامي ابتداءً من الأسرة إلى المجتمع برمته، فالشيوعية تهدف إلى استعباد الناس وجعلهم حميراً يركبونهم ويسوقونهم كما يشاءون لأن الناس حينئذ سيكونون كالبهائم لا يحسون بأي قيمة لهم، ثم جاء بعد ذلك المناداة بالتقدمية والعصرية والتحررية والقضاء على الرجعية، ففهمت بعض المجتمعات أن الحرية أن يعمل الإنسان ما يشاء ويرتكب من المنكرات ما يُلذ وأن يقول كل ما يريد قوله، وأن ينفك من القيود ثم الفوضى وإشاعة الفساد، ومن ثم الوصول إلى الإلحاد والعباد بالله، ومن ثم ينتشر الفكر المنحرف، ومن أشكال الاتجاهات الفكرية الوافدة إلى العالم الإسلامي: التغريب والصهيونية والعقلانية والقومية والوجودية والروحية وغير ذلك، وجميع هذه الاتجاهات هدفها القضاء على الدين الإسلامي برمته ونشر الفكر المنحرف في الأمة الإسلامية، حتى يُعاث في الأرض الفساد، وتنتشر الجرائم والمنكرات.

المبحث الثالث: أهداف ووسائل الاتجاهات الفكرية المنحرفة:

إن أعداء الإسلام قد لعبوا دوراً خطيراً في الثقافة الإسلامية حيث شاركوا في توجيه الأفكار والمعتقدات والتصورات والمفاهيم والأسس المتعددة مما كان له أكبر الأثر في إفساد المجتمع الإسلامي، ولعل من أهم أهداف الاتجاهات الفكرية الوافدة والمنحرفة هي كالاتي:

أولاً: التشكيك في صحة القرآن الكريم: منذ عهد النبي ﷺ لم يزل النقاد من الكفار وغير المسلمين يكررون آراء مشركي مكة حيال القرآن الكريم، وأخذ بعض علماء الغرب يقومون باعتراضات وافتراضات مماثلة حول القرآن، وذلك بحجج متنوعة، وجميع هؤلاء يسعون بشتى الأساليب إلى الاستنتاج بأن القرآن الكريم من تأليف محمد ﷺ وأنه المخترع الرئيسي له، وإن كان من المرجح مع ذلك أن المعاونة التي حصل عليها من غيره في خطته هذه لم تكن معاونة يسيرة، وهذا واضح في أن مواطنيه لم يتركوا الاعتراض عليه، ثم زاد قولهم: بأن القرآن الكريم قد اتخذ شكله الحالي تدريجياً عبر تطورات وتعديلات تمت في القرنين الأول والثاني من الهجرة، ويعتمدون على قولهم هذا بادعاءات منها:

إن محمداً ﷺ كان رجلاً طموحاً واتخذ خطوات مدروسة للدور الذي قام به فيما بعد، وهو بالأخص كرس نفسه لفن الشعر ليستطيع نظم القرآن، وإنه لم يكن رجلاً دون معرفة بالكتابة والقراءة كما يزعم المسلمون، وإن لفظ (الأمي) المنسوب إليه يعني شيئاً آخر، وإنه اقتبس الأفكار والقصص من اليهودية والنصرانية ثم ضمَّنها القرآن، وإن كثيراً من الأخطاء العلمية المعاصرة خصوصاً تلك التي تتصل بالعالم أو الكون، معكوسة في القرآن كما يوجد فيه العديد من

العبارات والمصطلحات الغربية والمفردات الأجنبية وكل هذه الأمور تدل على أنه من تأليف محمد ﷺ وإن كلمة (الوحي) لا تعني إلقاء النص من الله وإنما تعني اقتراحاً وإشارة أو (التكلم الذهني) وكل هذه الادعاءات أوجدوها لأهداف محددة ومرسومة منها:

١. توفير الأمن والاطمئنان للكنيسة من (الخطر) المحدق بها جراء انتصار الإسلام.
٢. إشاعة عناصر الكره والحقد المتأججة في صدور رجال الدين بين صفوف المجتمع الغربي والتأثير على العقلية الغربية، كي يمنعو النصارى من تقبل الإسلام مستقبلاً.
٣. تأجيج العقلية الغربية ضد (العدو الكافر) أو المعتصب الذي استولى على مناطق المسيحية المقدسة، بما عبروا عنه بمصطلح استرداد الصليب أو بيت المقدس، والمراد بالعدو الكافر (الإسلام والمسلمين).
٤. السعي الحثيث وبدون هوادة لمقاومة الدين الإسلامي ومقاومة الفتوح الإسلامية، وعلى تبني مواقف مؤيدة أشبه ما يكون دورها بما يُعرف بالطابور الخامس المساعد للغرب في إشاعة الإعلام المضاد والمعادي للإسلام، وذلك بوسيلة نشر ترجمات محرفة ومزيفة للقرآن الكريم ونشرها بين صفوف الناس.
٥. إيجاد وسائل متعددة لتشجيع المنصرين وحركات التنصير المخالف، أي نشر النصرانية على حساب الدين الإسلامي والعمل الدؤوب والمضني في سبيل توحيد الجهة الغربية النصرانية ضد الإسلام، وكان كتاب الله - عزوجل - وسيرة سيد الأنام محمد ﷺ هما الميدانان الرئيسيان للذات صوبت نحوهما الأقدام الغربية، فضلاً عن مساعي الكنيسة في هذه المرحلة إلى تشجيع القيام بهذه المسؤولية كمساعي الراهب النشيط في الدعوة إلى النصرانية بطرس الناسك وحثه (روبرت الكيتوني) (الإنجليزي) على ترجمة القرآن الكريم، ولعله من غير المبالغ فيه أن هذين الموضوعين قد نالا الحصاة الكبرى من توجهات الكنيسة في حركتها الرامية إلى مقارعة الإسلام والقرآن، لذا قام المستشرقون بترجمة القرآن الكريم وتحريفه، ومن تلك التراجم ترجمات بعينها ظلت مؤثرة في الكتابات التاريخية الاستشراقية نظير ترجمة المستشرق البريطاني ثم الأمريكي (رود وويل) (J.W.Roodwell) أستاذ الدراسات الشرقية في جامعة كامبردج بعنوان (القرآن) وترجمة (بالمر) (Ehpalmer) الأمريكي بعنوان (القرآن) بجزأين، وبالمر هو أستاذ اللغة العربية في جامعة كامبردج، وقد طُبعت هاتين الترجمتين عدة مرات، وقد احتوت هاتان الترجمتان على جملة أخطاء في فهم كلمات وتعابير ومصطلحات في النص القرآني، ومن أهم هذه الأمور تحريف الترجمة لكلمة الرسول إلى حوارى المسيح، أو الشخص الذي يُرسل في بعثة (تبشيرية) أو المبشر أو الشخص الموثوق في معرفته بالعهد الجديد الذي يُرسل للتبشير بالإنجيل، أو الشخص الذي يبدأ أو يستهل إصلاحاً أخلاقياً عظيماً، أو الشخص الذي يدافع أو يدعم أي معتقد أو نظام مهم، وجميع هذه المعاني للكلمة التي استخدمها المترجمان لا تُعبر بصدق عن رسول الله ﷺ إنما تُشير إلى المبشر النصراني العالم بالعهد الجديد،

ويحتمل جداً أن يكون الاختيار مقصوداً من قبل المترجمين للقرآن الكريم بهدف الإشارة إلى أنه ليس رسولاً، وإنما مبشر فقط، وبذلك يصبح القرآن الكريم مصدره منه، وكذلك عبر المترجمان عن كلمة (بَلَّغَ) بمعنى (أعلن أو صرح أو أظهر) وهي مخالفة جداً للمعنى البلاغي القرآني لكلمة (بَلَّغَ)، وألغيا جزء مهم جداً من الآية: ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧] وهو تعبير مهم جداً في رسالة التبليغ بالأمر الذي أنزله الوحي على رسول الله ﷺ بلزومية تبليغه للمسلمين، ثم ترجما هذا الجزء بترجمة ضعيفة مقصودة (لا تحجب أو لا تحتفظ به لنفسك) وشتان بين المعنيين، وقد قام المستشرق (بالمر) بتغيير أرقام الآيات في عدد من السور كسورة آل عمران وهود والأحزاب وغيرها، وقد قام المترجمان بحذف تعبير مهم يوضح أسباب نزول الوحي، فيقولان: (إن صوتاً جاء ولا يعرف الشخص القائل أو صاحب ذلك الصوت عندما كان رسول الله مسجى)، وقد حرفا آية (آل النبي) إلى معنى الناس والمجتمع ومجموعة من الناس، فالآية تُشير حصراً إلى أفراد بيت النبوة دون غيرهم وهم: (الرسول ﷺ وزوجاته وعلي وفاطمة والحسن والحسين) وهذا الوصف متفق عليه عند المفسرين من أهل السنة، وعندما يترجما كلمة أهل الكتاب يجعلان لهما خصائص مميزة بينما لا يخصصا لأهل البيت أي مكانه وذلك خطأ متعمد، وقد قام الغرب بترجمة القرآن الكريم في كتب كثيرة تطفح بالحقد على القرآن الكريم، وقاموا بترجمة هذه الكتب بمعظم اللغات كالهولندية والإنجليزية والألمانية واللاتينية والفرنسية والروسية والأمريكية والإيطالية والصربية والكرواتية والأسبانية والسويدية والدانمركية والبرتغالية والرومانية وجميع هذه الترجمات تزعم أن القرآن الكريم قد تطور عبر القرنين الأول والثاني من الهجرة، ويعتمدون على مزاعم اخترعوها منها:

أ. إن المصادر التاريخية الإسلامية ليست معاصرة ولا يمكن تصديقها.

ب. إن الحفريات الأثرية في جزيرة العرب كشفت العديد من النقوش القديمة تدل على عدم وجود القرآن في القرن الأول الهجري، وإن المخطوطات القرآنية القديمة التي عُثر عليها مؤخراً تُشير إلى تطور القرآن خلال فترة طويلة.

ج. إن نقد النص القرآني يشير إلى أخطاء في نسج القرآن.

ويتضح مما سبق أن مزاعم أعداء الدين الإسلامي لها جوانب متنوعة وأبعاد خطيرة، وأنهم لا يكفون عن محاولات النيل من القرآن الكريم فمثلاً (ريتشارد بل) يزعم بأن النبي ﷺ قد استمد القرآن من مصادر يهودية ومن العهد القديم بشكل خاص، وكذلك من مصادر نصرانية، ويقول جوستاف لوبون عن القرآن: (ليس في عامية القرآن ولا صوتيته أو هويته الصبائية التي هي من صفات الأديان السماوية ما يقاس بنظريات الهندوس) ويقول رينان: (إن الفلسفة العربية هي الفلسفة اليونانية مكتوبة بأحرف عربية)، فملة الكفر واحدة، حيث إن أعداء الدين الإسلامي وإن اختلفت

أجناسهم ولغاتهم يجتمعون في أمر واحد هو العداء للإسلام والمسلمين^(١)، والتشكيك في صحة القرآن الكريم للقضاء على الدين الإسلامي.

ثانياً: الطعن في سيرة وسنة النبي ﷺ: لقد اهتم أعداء الدين الإسلامي بحياة الرسول ﷺ وشخصيته ودعوته وسيرته وأخلاقه وشمائله وسنته، ولقد تميزوا بالعقلية الغربية الحاقدة والتي تفتقر إلى الموضوعية والعلمية، مع القصور في الاستناد إلى المؤلفات الإسلامية الأصلية، ومع ذلك كانت بمثابة الأسس التي ارتكزت عليها العديد من التفسيرات والآراء المتأخرة - دون مبالغة - وقد توجه أعلام عدد من الكتاب والأدباء الأوروبيين للبحث والكتابة عن تاريخ أحوال الشرق الإسلامي السياسية والدينية والاجتماعية، وكانت الدعوة الإسلامية وحياة مؤسس الدولة العربية الإسلامية وسنته ﷺ من أهم الموضوعات التي استهوت أنظار أولئك الكتاب، فقد كانت الحروب الصليبية وفي أطوارها ومضمونها الخارجي الظاهري حروباً دينية، فقد كان العامل الديني هو المحفز الأساس لجمع وتحشيد الكثير من الصليبيين ولا سيما أولئك الذين شكلوا الحملات الصليبية الأولى، لذا اتسمت هذه المرحلة بالتطرف الشديد في عرض الآراء والأفكار المعادية للرسول ﷺ وسنته مع الجهل البين بالكثير من مؤلفات السيرة النبوية والحديث الشريف مع غلبة الطابع الأسطوري والقصص الخيالية على معظم تلك الإسهامات، وتركزت الكتابات التي أنتجت تلك المرحلة بالدرجة الأولى على شخصية الرسول ﷺ وسنته فاخترعوا وابتدعوا أخباراً من وحي بعض القصص التاريخية أمثال قصة الناسك النصراني بحيرة، وعلاقة ورقة بن نوفل ابن عم السيدة خديجة - رضي الله عنها - بالنبي محمد ﷺ، لأنهما من القصص التي يُقصد من ورائها إظهار التأثير النصراني على الإسلام، فشوهوا السنة النبوية وحرفوها، ومن أهم ما كُتب في تلك الفترة ما كتبه (دانكوتا) باللغة الإيطالية (أسطورة محمد في الشرق) وكان من رجال الدين المتعصبين في القرن الحادي عشر للميلاد، ثم تمثلت هذه الآراء في كتاب الراهب الناسك يعقوب الفيتري في القرن الثالث عشر، ويبدو أن ما ورد من تفسيرات وقصص في مؤلفات أولئك الكتاب قد أثرت كثيراً على عقلية الفرد الأوروبي، فقد صورت تلك المرحلة الرسول ﷺ تصويراً حاقداً، واستمر هذا الأمر إلى القرن السابع عشر للميلاد، فالذي يقرأ كتاب المستشرق البريطاني (همفري بريدو) والموسوم ب (حياة محمد) يجد مملوءاً بتخرصات وتفسيرات الرهبان في العصور الوسطى، وينضح تفسير (بريدو) للدعوة الإسلامية ونبوة الرسول ﷺ بمجرد قراءة عنوان كتابه الذي نُشر في سنة (١٦٩٧م) وهو (الطبيعة الحقيقية لدجال كما صُوّر بوضوح في كتاب حياة محمد) وقد تُرجم إلى اللغة الفرنسية، فهو يفسر الدعوة الإسلامية بوصفها انتقاماً أرسله الرب لما شهدته الكنيسة الشرقية من انقسامات (فالرب هو الذي جعل السراسين (أي العرب) ليكونوا أدوات غضبه ضد المسيحيين المنقسمين على

(١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي للبهى (٢١)، الاستشراق والخلفية الفكرية لزقروق (٧٢)، الصراع بين الفكرة الإسلامية والغربية للندوي (١٧٩)، آراء المستشرقين حول القرآن لرضوان (٣٣ / ١)، ردود على شبهات المستشرقين لمراد (٣٢).

أنفسهم وهؤلاء السراسين سرعان ما سيطروا على المقاطعات الشرقية للإمبراطورية الرومانية ورافقهم التدمير والتخريب^(١) وكتابه قسمه إلى قسمين الأول خصصه للحديث عن حياة الرسول ﷺ وسنته وكان مملوءاً بالترهات والقصص الخيالية، وكانت تُستغل تلك المؤلفات كمحفزات فعالة لإمداد الجندي أو المقاتل الصليبي في ساحة المعركة، وكانت هذه الكتب وأمثالها قد أنتجت أثراً بعيداً وسيئة وما زالت إلى الآن تحتل مكانة هامة من حيث رسوخها وثبوتها في ذهن الفرد الأوروبي، وقد شهدت مدة القرنين التاسع عشر والعشرين تطورات هائلة متمثلة بالقفزات السريعة التي طرأت على عالم الصناعة والتكنولوجيا والعلوم، وقد أثر هذا التقدم تأثيراً ملموساً على التكوين الاجتماعي والاقتصادي لمجتمعات أوروبا، وبهذا التطور العلمي والصناعي والاجتماعي قد أعطى دفعاً جديداً للدراسات الغربية في القرون التاسع عشر والعشرين والواحد والعشرين، فصارت تلك الدراسات مصادر يُعتمد عليها، لكن أغلبها كان يعوزه الهدف والفكرة ضمن الخط الغربي عدا - بطبيعة الحال - الهدف الديني الواضح، ففي هذا الوقت أخذت الدراسات الغربية تميل إلى مذاهب ومدارس وأغراض مؤثرة، فصار لها مناهج وأهداف متباينة نتيجة ظهور أفكار وحركات ثورية قادتها الطبقة العاملة التي قاست من جراء تزايد حجم الرأسماليين وأرباحهم، وقد برزت هذه التطورات في توجيه بعض الدراسات الغربية ومنها كتاب (هيوبرت جريم) (محمد) الذي نُشر في سنة (١٨٩٢م) الذي رأى أن الرسول ﷺ مؤسس الديانة الإسلامية، وأن رسالته اجتماعية في أصولها وطبيعتها ولم تكن رسالة دينية، وأن التبشير بالدعوة الإسلامية كان رد فعل للحقد والسخط الكبيرين على عدم تحقيق العدالة في توزيع الثروات، فانطلقت من الرغبة المتأججة في نفوس الناس لإيجاد مجتمع إنساني آخر يحل محل المجتمع المكي المعقد، وعلى هذا فالثورة الإسلامية هي ثورة البروليتاريا، وبذلك جرد الدعوة الإسلامية من مقوماتها الدينية والروحانية، وألف أيضاً المبشر المتعصب (هنري لامانس) كتباً وبحوثاً كثيرة عن السيرة النبوية وتاريخ صدر الإسلام، ووقف موقفاً من الحديث النبوي الشريف، وشكك بصورة مطلقة في صحة هذه الأحاديث، وبكل ما ورد بخصوص المعلومات التي تُسلط الضوء على أمانة الرسول ﷺ وصدقه واصفاً إياه بتعبير تهجمي هو (الحالم العظيم) فكان موقف غير علمي، ولم يتبع أبسط قواعد المنهج البحثي حيث اعتمد على مؤلفات السيرة النبوية ومؤلفات الطبقات والتراجم والرجال، واقتبس منها ولكن من زاوية توافق قراءته وتتواءم مع وجهات نظره المعدة سلفاً، فكان يميل إلى منهج الأخذ بالضد في كتاباته التاريخية، وعلى هذا الأساس كذب ما ورد في تلك المؤلفات عن صدق رسالة الرسول ﷺ وأنكر المعلومات التي تفيد بأنه ﷺ كان يتعبد بغار حراء حتى يتوصل لإنكار الرسالة والوحي، واتضح هذه المرائيات في بحوثه (القرآن والحديث) (ومحمد وأمانته) و (جمهورية التجار في مكة) فهو ينتقد الرسول ﷺ ويميل إلى المكيين المعادين للدعوة الإسلامية، ويرفض كل الروايات المتعلقة بالمدة المكية للدعوة الإسلامية، ولذلك انتقده عدد من المستشرقين أمثال بيكر،

(١) الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية لرودنسون (٣٣ - ٤٠)، أفاعي العلمانية لنجيب (١٣١ - ١٥٣).

وشاخت بالتعصب الديني، مما أضعف قيمة آرائه^(١)، ومن هنا يتضح أن أهم الأمور التي وُجّهت للطعن في رسالة الرسول ﷺ وسنته هي كالاتي:

١. أن الأحاديث التي كُتبت في الكتب الستة والموطأ والدارمي والدارقطني والبيهقي والسيوطي، مأخوذة إلى حد كبير من التلمود، وهذا ما نُشر في دائرة معارف الشرق عام (١٧٣٨م)^(٢).
٢. التفريق بين السنة التي التزم المسلمون بتطبيقها وبين الحديث الذي هو مجرد خبر تاريخي غير موثوق على حسب زعمهم^(٣).
٣. تكذيب الرسول ﷺ واتهامه بالزيف والألقاب الأخرى، والزعم بأن الرسالة الإسلامية مستقاة من التلمود، واليهود الذين دخلوا في الإسلام، ومن ديانات وحضارات كانت على صلة بجزيرة العرب^(٤).
٤. اتهام السنة والرسالة الإسلامية بعدم التمييز في دراسة أصول الشريعة، وإن الزهري^(٥) أول من جمع الحديث مما يولد فجوة تاريخية بين مرحلة النطق بالأحاديث وتدوينها، مما يشكك في إمكانية الثقة بها^(٦).
٥. إن وضع الحديث والسنة بدأ في جيل الصحابة المبكر، وأن معظم الأحاديث وضعتها الفرق السياسية الكلامية والمذهبية في القرنين الثاني والثالث^(٧).
٦. أن أصول الإسلام والسنة النبوية أخذت جميعها من اليهودية والنصرانية، مع تأثير الهليني في تطور الإسلام، والقانون الروماني في نمو التشريع الإسلامي^(٨).
٧. اختلاق الأحاديث المتعلقة بالعقيدة الإسلامية، والأسانيد، وأن الأحاديث اختلقها الفقهاء، وأن الشافعي هو الذي استحدث حجية السنة^(٩).
٨. الطعن في مسند مالك عن نافع عن ابن عمر، وبأن نافعاً مات ومالك صغير وهذا عين الكذب.
٩. انتقاد طريقة اعتماد الأسانيد في تصحيح الأحاديث لاحتمال الدس في سلسلة الرواة^(١٠).

(١) المستشرقون والإسلام لعبد الحميد (٥٠ - ٨٠).

(٢) من الذين قالوا بهذا القول: هوبلو وجولد تسهير وشاخت.

(٣) من الذين قالوا بذلك القول: كابتاني، وميور، وشيرنجر، وجولد تسهير.

(٤) من الذين قالوا بذلك القول: كابتاني، وميور، وشيرنجر، وجولد تسهير.

(٥) من تحريفات جولد تسهير اتهامه للإمام الزهري بأنه كان (مستعداً لأن يضع الأحاديث لبني أمية، وأن يكسو رغبات الحكومة باسمه المقترن به عند الأمة الإسلامية، ولم يكن الزهري من أولئك الذين لا يمكن الاتفاق معهم، ولكنه كان يرى العمل مع الحكومة، فلم يكن يتجنب الذهاب إلى القصر، بل كان كثيراً ما يتحرك في حاشية السلطان، بل إننا نجده في حاشية الحجاج عندما ذهب إلى الحج وهو ذلك الرجل المبغض) ويريد بذلك أن يوهم القارئ أن الزهري كان تابعاً لذوي السلطة، يجري في فلهم ويستمتع بالقرب منهم في مقابل ما يؤديه لهم من خدمات في تخصصه، أي العلم بالحديث، حيث يخترع لهم الأحاديث التي (تكسو رغبتهم ثوباً دينياً) انظر كتاب السنة ومكانتها في التشريع للسباعي (٢٢٣).

(٦) من الذين قالوا بهذا القول: كابتاني، وميور، وشيرنجر، وجولد تسهير.

(٧) من الذين قالوا بهذا القول: شاخت، وكيوم، وواط، وروبسون وكلهم من رجال الكنيسة.

(٨) من الذين قالوا بهذا القول: ميور، وكابتاني، وهوروفتس.

(٩) يُنسب هذا القول إلى: مرجليوت، وجولد تسهير.

(١٠) يُنسب هذا القول إلى: نيكلسون، وكولسون.

١٠. اعتبار نصف أحاديث صحيح البخاري ليست أصلية، ولا يوثق بها، وأن الأسانيد أضيفت إلى المتن فيما بعد بتأثير خارجي، لأن العرب لا يعرفون الإسناد، وأنهم أخذوها عن التلمود^(١).

١١. أن الرسول ﷺ لم يترك أوامر ولا أحكاماً سوى القرآن^(٢).

من الغريب أن بعض المستشرقين أنفسهم ردوا على هذه الطعون بالتكذيب والافتراء مثل (هوروفتس) (ت ١٩٣١م) (وفيوك) (ت ١٩٣٩م) ونيكلسون، وهاملتون جب، وواط، وفينسينك حيث انتقدوا جميع هذه الأمور، فأثبتوا براءة المحدثين والفقهاء من تهمة وضع الأحاديث وكشفوا عن منهج هؤلاء المستشرقين الذين استخدموا المنهج المادي لنقد التاريخ ومنهج الشك والظن، فأثبتوا زيفهم وكذبهم حتى يثبتوا العكس، فإن المتشكك في الموضوع ندعوه إلى أن يتحقق — على وفق المنهج العلمي — من مصادر أخرى كأن تكون يونانية، أو حبشية أو قبطية أو فارسية، وذلك موجود في جميع تلك المصادر التي تثبت كذبهم، وبذلك يتضح أن الله — عز وجل — يدافع عن نبيه ﷺ لذا نجد المستشرقين أنفسهم يختلفون في أمور كثيرة حول سيرة وسنة الرسول ﷺ .

ثالثاً: زعمهم استمداد الفقه الإسلامي من الرومان: إن أعداء الدين الإسلامي قد أثاروا هذه الشبهة وتداولوها كثيراً وطرحوها في أكثر من مجمع وبحوثها في أكثر من مكان وألقوا فيها المصنفات، وهذه الشبهة هي زعمهم استمداد الفقه الإسلامي من الرومان، فقالوا لقد قارنا بين القانون الروماني والقانون الإسلامي (الفقه الإسلامي) فوجدنا أنه مأخوذ منه، ولو بحث المسلمون في كتب السلف بل حتى الخلف لا يجدون لهذه الشبهة ذكر، ولم يقل بها أحد من علماء المسلمين، ولا طُرحت حتى عند علماء اليهود والنصارى، فهذا الزعم نشأ وترعرع وانتشر على أيدي أعداء الإسلام^(٣)، وأعظم ما يرتكزون إليه هؤلاء في هذا الزعم هو وجود التشابه بين القانون الإسلامي والقانون الروماني، هذا المستند الذي ارتكزوا عليه وجعلوه عمدتهم فيقولون: (إن في القانون الروماني ثُقطع يد السارق، وفي القانون الإسلامي تُقطع يد السارق، وإنه من قطع أنفاً قُطع أنفه، ومن قطع يداً قُطعت يده، وكذلك في سائر الجروح وهذا موجود في الفقه الإسلامي، وإن التشابه بين نظامين يكون في الغالب أن المتأخر متأثر بالمتقدم)، ثم أرادوا أن يزيدوا الأمر وقالوا: إن الفقهاء المسلمين وجدوا الترجمات العربية للقانون الروماني عندما فتحوا الشام في الأديرة، والشام قبل أن يدخلها الإسلام كان عامتها على دين النصارى على مذهب الكاثوليك، ويزعمون أن الأوزاعي — يرحمه الله — أسس مدرسة سرية بتلاميذ، أخذوا يطلعون على القانون الروماني، ثم بعد ذلك ينقلونه إلى القانون الإسلامي، ويؤكدون أن الأوزاعي أخذ القوانين الرومانية وأخرجها على هيئة أحاديث منسوبة للنبي ﷺ وبعد ذلك أدخله وروجه عن طريق الأحاديث الضعيفة

(١) من الذين قالوا بهذا القول: ميور، وكايتاني، وهورفتس.

(٢) من الذين قالوا بهذا القول: نيكلسون، وكولسون.

(٣) تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي لناجي (٨٦ - ٨٧)، رؤية إسلامية للاستشراق للغراب (٧ - ٨).

والموضوعة، فأدى ذلك إلى أن هناك تشابه كبير بين النظامين، وبذلك يكون الفقه الإسلامي فقها عالة على غيره، وليس فقهاً أصيلاً يمكن الاعتماد عليه، وهذا الزعم باطل من أساسه وليس لديهم دليل واحد يعتمدون عليه في هذا الزعم الباطل، والصحيح أن وجود بعض أصناف التشابه لا يعني التطابق، ولا يعني كذلك الاقتباس، وإن وُجد بعض التشابه فلا يعني ذلك أن الفقه الإسلامي مستمد من القانون الروماني، ولو وُجدت بعض المسائل فيها بعض التشابه فهناك في القانون الروماني أن من استقرض من إنسان شيئاً أو ثبت له في ذمة إنسان آخر شيء من المال ولم يمكنه الوفاء، فإن لصاحب الحق أن يستعبد المدين، وهذا بخلاف الفقه الإسلامي الذي يشجع بكثير من الطرق تحرير العبيد والإماء، ومن الأمر الذي يؤكد كذب زعمهم أن كثيراً من الأحكام الفقهية مصدرها الكتاب والسنة فهل يُقال إن القرآن والسنة من الرومان أيضاً، وأما قولهم بقطع يد السارق والمقاضاة بالجروح فهذه الأحكام الجنائية قد جاءت في القرآن الكريم فكيف يقال بأن هذه الحدود أخذت من القانون الروماني؟ ومن أهم الأمور التي تُدحض هذا الزعم والافتراء المكذوب أن كتب التاريخ والسير وضحت أن بداية التشريع الإسلامي كان القانون الروماني قد اضمحل وانتهى لفساده وعدم اعتداد أهله به، بل يثبت التاريخ أن الحضارة الرومانية قد اندحرت واندثرت، ونشأت حضارات أخرى قبل الرسالة الإسلامية، فكيف يأخذ المسلمون من قانون فاسد لا يسمن ولا يغني من جوع^(١) يقول ابن خلدون - يرحمه الله -: (إن المغلوب يتأثر بالغالب) فلا شك بهذه القاعدة الاجتماعية المعروفة، فكيف يزعم أعداء الإسلام أن المسلمين قد أخذوا من القانون الروماني الفاسد مع أن المسلمين هم الذين انتصروا على الحضارة الرومانية، وأما زعمهم عن الأوزاعي فهو كذب محض، فالإمام الأوزاعي منسوب إلى مدرسة أهل الحديث وهو من أهل الحديث، وكان في عهده مدرستان مدرسة أهل الظاهر ومدرسة أهل الرأي، ولا يمكن أن يقال: إنه استطاع أن يؤثر على كل هذه المدارس ويبلغ به التأثير إلى أن يُدخل الأحاديث الضعيفة والموضوعة في الفقه ويقف باقي العلماء دون أن يفضحوا أمره وشأنه.

ومما يزعم به أعداء الإسلام بأن الأحاديث الضعيفة والموضوعة هي الأساس الذي بُني عليه الفقه الإسلامي، فهذا زعم لا يحتاج إلى توهينة وتضعيفه، حيث إنه بُني على باطل وما بُني على باطل فهو باطل، فلسان الحال ولسان المقال يوضحان كذب هذه الفرية فإن السنة النبوية وصلت إلينا صحيحة نقية، حيث إن أهل السنة والجماعة يعتبرون أن الحجة لا تقوم إلا بالسنة الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ بنقل العدول، ولذلك اعتنى أئمة أهل السنة والجماعة بالحديث النبوي لحد لا يستطيع أن يصف الإنسان ما قاموا به من جهد عظيم ومنها على وجه المثال لا الحصر:

١. الحرص على تبليغ سنة الرسول ﷺ في الآفاق.

٢. الاهتمام بطلبة السنة وتقديرهم.

(١) رؤية إسلامي للاستشراق - أحمد عبد الحميد غراب (٧)، أوروبا والإسلام صدام الثقافة والحدائق لجعيط (٤١).

٣. التثبت في قبول السنة حتى أن بعض الصحابة - رضي الله عنهم - لم يقبل من السنة إلا ما قام عليها شاهد عدل.

٤. حرص علماء الأمة في سائر عصورهم على جمع السنة والتثبت في قبولها.

٥. التثبت في أحوال نقلة الحديث ومعرفة أحوالهم.

٦. تدوين علم الجرح والتعديل.

٧. التأليف والجمع لعل الحديث والكلام عنها.

٨. التأليف لتمييز الحديث المقبول من المردود.

٩. تدوين تراجم الرواة وبحث ما يتعلق بهم من جهات الأسماء مختلفها والكنى والمقدم والمؤخر والأقران^(١).

فلذا فإن السنة النبوية التي بين أيدينا في جوامعها قد بلغت على أيدي علماء الأمة من الإتقان والحفظ والعناية ما يدل على أنها باقية كما هي، كما شُمت من رسول الله ﷺ فكان اهتمام السلف بالأسانيد من أعظم الأسباب لحفظها وعدم التشكيك فيها، يقول الإمام مالك - يرحمه الله -: (إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم)^(٢)، فلذا فإن أهل السنة والجماعة يتميزون بشدة الانتقاء والتحري والانتقاد للرجال وحالهم وهذا معناه التحقق من حال الراوي والكشف الدقيق عمن يؤخذ عنه الحديث، وبذلك يتضح كذب أعداء الإسلام.

رابعاً: النيل من اللغة العربية: تظهر أهمية اللغة العربية على باقي اللغات واللهجات لأنها اللغة التي اختارها الله -

عز وجل - لأن تكون مشرفة بنزول القرآن الكريم، وقد عرف أعداء الإسلام أنه ما دامت اللغة العربية حية في نفوس المسلمين فإنهم لا يزالون قادرين على فهم الإسلام، ولذلك جاءت اللغة العربية في مقدمة الكلام في المحتوى الاستشراقي، ومنذ البداية اهتم أعداء الإسلام بدراساتها، وما يوضح ذلك أن (رايموند لول) اشترى أسيراً عربياً أسترته ليعلمه اللغة العربية والعلوم الإسلامية وسعى لدى البابا لكي يأمر بإنشاء كرسي في اللغة العربية في جامعات أوروبا لتعليم بعض النابغين اللغة العربية، مع أن معرفة الأوروبيين باللغة العربية قد بدأت قبل ذلك بقرون عدة في القرن التاسع الميلادي، وكانت معرفتهم بها في الأندلس ثم صقلية، وكانت في الأندلس من الشيوع لدرجة التي أرقت أحد رهبانهم البار القرطي إذ قال: (إن نصارى أسبانيا لم يعودوا يهتمون بدراسة اللاتينية لغة الكتاب المقدس، ولكنهم يتقنون الكلام بالعربية والكتابة بها، بل إن من بينهم كثير من يجيدون نظم الشعر العربي)^(٣)، ومن هنا نجد أعداء الإسلام حاولوا بكل ما أوتوا من الحيل والخداع للغض من شأنها والتشجيع على تركها بالكلية، فهي تقض مضاجعهم، ومن العجيب أن يسميها المحتلون

(١) انظر مقدمة فتح الباري (١٣٥)، الكفاية في علم الرواية للخطيب (١٩٤)، علوم الحديث لابن الصلاح (١٠٣).

(٢) رواه الراهرمزي في المحدث الفاضل عن مالك وابن المبارك وغيرهما (٤٠٣ ، ٤١٦)، وابن عبد البر في الانتقاء (١٦).

(٣) أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية لمجموعة من العلماء المصريين (٣٢)، الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا في القرون الثامن إلى العاشر لجوزيف رينو (٢٤٦)، تجديد الفكر

الإسلامي لسلطان (١١ - ٤٣).

الفرنسيون والبريطانيون في مستعمراتهم بأنها لغة المستعمر، واللغة العربية وإن كانت تقلق أعداء الإسلام في الدول الشرقية والغربية على حد سواء، لكنهم مع عداوتهم لها يهتمون بها اهتماماً عظيماً، فهم يقبلون على تعلمها بنهم شديد بغرض التصدي للإسلام وأهله، ومحاربتهم بنفس لغتهم وأساليبهم، وبذلوا في ذلك جهوداً جبارة حتى صار منهم عباقرة في اللغة العربية نثراً ونظماً، وألقوا المعاجم المطولة فيها، وفتحوا مدارس لتعليمها ممن يقع عليه اختيارهم من النابحين منهم، وأكملوها بجامعة ودراسات عليا لتخريج المستشرقين والمنصرين ومن تبعهم لبثهم في العالم الإسلامي مُزوّدين بشبهات أملت يد الحقد على الإسلام، ومخاصمين المسلمين بلغتهم التي يفهمونها لكي يكسر الشجرة أحد أعضائها كما أوصاهم زويمر، ولم يقصروا في اهتمامهم باللغة العربية تعليماً فقط، بل أنشأوا مطابع بالحروف العربية لتتم دراستهم لها، ولتتمكنوا بعد ذلك من بث سمومهم ضدها، وهم على يقين من أن لكل صانع صدى، كما أنهم تعلموا العربية ليزيدوا من استعلائهم على العرب المسلمين حين يتم احتلالهم لهم الاحتلال الذي خططوا له ونفذوه بالقوة والقهر سنين عدداً، واستغل أعداء الإسلام التعليم وحولوه إلى أداة تخريب للقيم والأخلاق والدين على أيدي أناس لا يخافون الله ولا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، فجاءت جحافل أعداء الإسلام من الصليبيين وأتباعهم ممن باعوا أنفسهم لهم ليطفئوا نور الله بأفواههم: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨]، ولقد اشتدت ضراوة المعارك بين الإسلام وأعدائه عن طريق التعليم ومحاربة اللغة العربية في حروب سافرة لم يعد الإخبار عنها سراً مكتوماً في نفوس المخططين لها، بل ذهبوا يتبعجون علناً بذلك، يقول المبشر (هنري هريس جب): (إن المدارس شرط أساسي لنجاح التبشير، وهي بعد هذا وسيلة إلى غاية لا غاية في نفسها، لقد كانت المدارس تُسمى بالإضافة إلى التبشير (دق الإسفين) وكانت على الحقيقة كذلك في إدخال الإنجيل إلى مناطق كثيرة لم يكن بالإمكان أن يصل إليها الإنجيل أو المبشرون من طريق آخر)، ويقول أيضاً: (لقد فقد الإسلام سيطرته على حياة المسلمين الاجتماعية وأخذت دائرة نفوذه تضيق شيئاً فشيئاً حتى انحصرت في طقوس محدودة، وقد تم معظم هذا التطور تدريجياً عن غير وعي وانتباه، وقد مضى هذا التطور الآن إلى مدى بعيد، ولم يعد من الممكن الرجوع فيه، لكن نجاح هذا التطور يتوقف إلى حد بعيد على القادة الزعماء في العالم الإسلامي، وعلى الشباب منهم خاصة، كل ذلك كان نتيجة النشاط التعليمي والثقافي العلماني)، ويقول المبشر (دابني) عن دور المعلم المسيحي والمعلم المسلم: (إذا كانت الغاية من التعليم في المدارس التبشيرية - كما يجب أن تكون - إنما هو تزويد الطلاب باستشراق مسيحي للحياة، وتمريناً لهم على ممارسة المسيحية وتقربهم من اختيار شخصي للإيمان المسيحي)، ويقول المبشر (تكلي): (يجب تشجيع إنشاء المدارس على النمط الغربي العلماني، لأن كثيراً من المسلمين قد تزعزع اعتقادهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية وتعلموا اللغات الأجنبية)^(١) وبذلك أصبح التعليم كله في معظم الدول الإسلامية

(١) انظر هذه الأقوال في كتاب غزو في الصميم للميداني (٢٥ - ٢٩)، أجنحة المكر الثلاثة للميداني (٢٥٣ - ٢٦٤)، الاستشراق لفرج (١٠٢ - ١٠٣)، المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية لعمارة (٨٩).

على مختلف أقسامه يهدف إلى غاية واحدة وهي إعلاء الفكر المضاد للإسلام وللغة العربية ومحاربة القرآن والسنة، أما الفن والشعر والعلوم والتاريخ والرياضة والتمثيلات والمسرحيات والرحلات الطلابية والمسابقات الثقافية وسائر العلوم الأخرى كلها لابد فيها من تحقيق الطموح الغربي والتنفيس عن الحقد الصليبي، ولقد ابتكر أعداء الإسلام وسائل كثيرة لإبعاد اللغة العربية عن الصدارة منها: منعها من دخول المدارس العامة، مع إدخال لغة المحتلين التي أصبحت هي اللغة الرسمية في المدارس والدوائر الحكومية، والتي توصف لطلاب العلم بأنها هي لغة الرقي والتطور والسبيل إلى نيل الشهادات العالية والوظائف المحترمة لدى الدول، بينما يُشار إلى اللغة العربية بأنها لغة التخلف والمتخلفين ويكيلون لها التهم وألوان الاستهزاء بها وأنها لغة يجب أن تموت لتحل محلها لغة التطور والصناعات المختلفة في الوقت الذي شجعوا فيه اللهجات العامية - المحلية - أي التي لا ضرر فيها على المحتلين، وكان أكثر العرب تقبلاً لإقصاء الفصحى هم النصارى^(١)، ولقد أنشأ أعداء الإسلام مدارس وكليات عديدة باللغات العامية ومنها: مدرسة نابولي للدروس الشرقية، مدرسة باريس للغات الشرقية الحية، ومدرسة لازارف للغات الشرقية في موسكو، والكلية الملكية لعلوم الاقتصاد الشرقية وكانت تُدرس اللهجات العربية، وجامعة لندن في بريطانيا الذي تخرج منها الجاسوس البريطاني لورنس، وكانت كل هذه المدارس والجامعات والكليات مهتمها دراسة اللغات العامية المحلية، ولقد تخرج من هذه المدارس عدد كبير كان اهتمامهم في مؤلفاتهم بحث اللغات العربية المحلية الدارجة، بل وصل مكرهم إلى القرآن الكريم فترجموه على أنه شعر عربي عامي، وباللهجة العامية لتقريبه إلى الأفهام على حسب زعمهم، وهم يريدون من وراء هذا الصنيع إبعاد المسلمين عن لغتهم العربية الفصحى وإحلال العامية محلها، وما يتبع ذلك من تفرق كلمة العرب المسلمين وعدم اجتماعهم على وحدة واحدة ومرجع واحد يجمع بينهم، وقد انهمال أعداء الإسلام بالمديح على الذين ينادون بالعامية وجعلوهم طلائع ثورية أدبية على اللغة - بل هم ثورة على اللغة العربية - التي لم تستطع بزعمهم أن تسير الحضارات الأوروبية في استيعاب الجديد، وفي استيعاب أسماء الصناعات التي يزخر بها الغرب حسب افتراءهم فكان حال العربية يقول:

رموني بعقم في الشباب وليتني عقمتم فلم أجزع لقول عداقي

بينما هي في الحقيقة يترجم عنها حافظ إبراهيم فيقول:

أنا البحر في أحشائه الدر كامن فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

وأخذ أعداء الإسلام يؤكدون على أن اللغة العربية لغة التخلف والمتخلفين وكالوا لها التهم وألوان الاستهزاء بكل الوسائل والطرق لمحاربتها والنيل منها، ومن الوسائل الماكرة التي لجأ إليها أعداء الإسلام أيضاً أن جعلوا الطالب الذي

(١) المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية ضمن بحوث مجلة المنهل السعودية العدد (٥٥). (٨٩)، المسار الفكري للاستشراق لأصف حسين (٥٧١)، تراجم القرآن الأجنبية في الميزان لأبي فراج (٧٣)، لغة الضاد في ملف المستشرقين لزهرة الدين (٨٧ - ٨٨)، العرب تاريخ ومستقبل لبيزك (١٨٤).

يتمتحن اللغة العربية ولم ينجح منها لا يُعتبر راسب بل من حقه أن يُرفع إلى السنة التي تليها، وهناك حيلة أخرى للقضاء على اللغة العربية الفصحى وهي أن يكفي لنجاح الطالب فيها أن يُشترط عليه الحصول على نسب مئوية متدنية جداً وبالتالي يتخرج الطالب دون أن يهتم بلغته الأم فضلاً عن أن يجيدها، بل وقد ذهبوا إلى أكثر من ذلك وهي دمج المواد المتشابهة وإعطائها درجة واحدة فتُضم مواد اللغة العربية من نحو، وصرف، وبلاغة، وأدب، وإملاء، وخط، وقراءة، وتعبير، ونصوص، وعروض في مادة واحدة كذلك^(١)، وبالتالي تقل صلة الطالب باللغة العربية.

خامساً: افتراءهم بإرجاع الإسلام لمصادر يهودية ونصرانية: أعداء الإسلام يتفقون فيما بينهم على زعم زعموه، وهو أن الدين الإسلامي قبس من التوراة والإنجيل في الأساس، وبعض الموروثات الثقافية العربية في العصر الجاهلي، ولكن زعمهم الأول أقوى، وهو أن الإسلام مأخوذ من التوراة بالدرجة الأولى ثم الإنجيل، وكل عدو منهم يأخذ هذه الفرية ممن سبقه على أنها قضية مسلمة، تسيطر على أعداء الإسلام جميعاً، ولهم في ذلك فروض افترضوها يقول (مونتيه): (إن الدين اليهودي هو المصدر الرئيسي للقرآن، وبالتالي فهو المصدر الرئيسي للعقيدة القرآنية، هذا صحيح فهو يخضع للتأثير اليهودي أكثر مما يخضع للتأثير النصراني)^(٢)، ويرى (مونتيه) أن قصة الطير التي وردت في القرآن الكريم مع إبراهيم ﷺ مأخوذة من التوراة عن قربان الميثاق الذي عقده إبراهيم مع ربه^(٣) في سفر التكوين، وحكاية التوراة تتحدث عن أربع من الحيوانات والطير لا عن أربعة من الطير: عجلة وعنزة وكبش وبميمة أو حمامة لم توزع على جبل ولم يسأل فيها إبراهيم ﷺ ربه أن يحي الموتى ثم أنها ليست أكثر من رؤيا وشتان بين القصة والحكاية التوراتية^(٤)، ويستشهدون على الاستمداد التوراتي بعبارة وردت في المزمور توافق عبارة قرآنية في قوله - تعالى - : ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، أما عبارة المزمور فهي: (الصديقون يرثون الأرض)^(٥) وقد تغافل أعداء الإسلام أنه يمكنهم التوافق في المعنى والمقصد بين معنى قرآني ومعنى آخر أياً كان مصدره مادام حقاً، وعلى كل حال يحدد أعداء الإسلام مصادر الإسلام في مزاعمهم على المصادر الآتية:

١. الأساس اليهودي ثم النصراني.

٢. المصدر الثاني هو الأساس الجاهلي، وإليه يرجع ما جاء في الدين الإسلامي من الاعتقاد بالجن وتقديس الكعبة، وقصص عاد وثمود، ويزعمون أن محمداً احتفظ من الوثنية القديمة الحج وشعائره، بعد أن خلع عليه طابعاً روحياً وصبغة وجدانية توحيدية، كذلك يمكن رد عقيدة القدر إلى الوثنية العربية.

(١) الإعلام الإسلامي - خطر التدخل الإعلامي الدولي المذكور (٩٦).

(٢) المستشرقون والقرآن لعوض (١٦٣).

(٣) سفر التكوين - إصحاح (١٥/٩ - ١٨).

(٤) المستشرقون والقرآن لعوض (١٧).

(٥) المزمور (٣٧: ٢٩).

٣. أخيراً يأتي المصدر الإسلامي الصرف، وهو الأفكار الجديدة التي أضافتها عبقرية محمد الدينية^(١).

وأعداء الإسلام صليبيون أو علمانيون يتناقلون ذلك، وهذا الكلام السابق لمستشرق ذي تعصب ديني هو (مونتييه)، والشيء نفسه يقول به عدو علماني هو (مونتجمري واط) فهو يصر على تصوراته لآيات القرآن من مكة والمدينة ومدى اختلاف تصورهم لكل من آيات العهدين (القديم والجديد) وهذه النزعة عند المتعصبين منهم، وعند العلمانيين يتمسكون بها لتبرير زعمهم بأن محمداً في أثناء تأليفه للدين الإسلامي كان واقعاً تحت مؤثرات شخصية حدثت له في كل من بيئي مكة والمدينة، أو لتأثير شبابه في مكة، وكهولته وشيوخته في المدينة ومدى تأثير الشباب والصحة على الإبداع الأدبي ومنه القرآن الكريم، لأنهم لو قالوا: إن القرآن كلام الله المنزل وحياً من عند الله بواسطة ملك هو الروح الأمين جبريل لما قدروا أن يقولوا باختلاف الوحي قوة وضيافاً، ومبنى ومعنى وأسلوباً إلى آخر أكاذيبهم وافترائهم، والمتأمل لكلام مونتييه سيجده متماثلاً لكلام واط، فهو يؤكد في أماكن ومواضع كثيرة من كتبه إلى أن كثيراً مما جاء في الإسلام مأخوذ من اليهود بالدرجة الأولى ثم من النصارى، ومن الأفكار السائدة في البيئة الجاهلية، وأنه صُنع بمفاهيم النظرة العربية المعاصرة له وأشكالها الفكرية^(٢)، ويؤكد (جولد تسيهر) أثر اليهود في مفاهيم ابن عباس - رضي الله عنهما - التفسيرية فيقول: (ومذهب التفسير الذي أقامه الأب الأول لتفسير القرآن (ابن عباس) والحصول الذي تعلمه من أهل الكتاب قد بينه (ليونى كاتيانى) (Leone Caetani) أخيراً على وجه ممتاز)^(٣)، ومن ضلالات أعداء الإسلام حول الدين الإسلامي أنهم يعرفون الصحيح من الإسلام، ولكنهم يتركونه ويتبعون الأكاذيب والموضوعات والضعيف ويعتمدون عليها، ثم يبرزونها في دراساتهم وكتبهم ومؤلفاتهم لإيهام الناس بأن ذلك هو الإسلام، فهم يزعمون أن الإسلام أُستمد من التوراة والإنجيل، والغاية من ذلك معروفة وواضحة، وهي إبراز الإسلام وكأنه ضرب من اليهودية أو النصرانية، ولكن يهودية ونصرانية مزيفة، ويؤكدون عن استمداد القرآن الكريم من الشعر الجاهلي حتى يؤكدوا على إيجاد علاقة بين الشعر الجاهلي أو سجع الكهان^(٤)، وصار هذا الأمر من المسلمات في أدبيات أعداء الإسلام، يقول (سافاري) (١٩٨٩م): (إن اتهام كفار مكة محمداً بأنه شاعر لم يكن قائماً على غير أساس، فالقرآن مؤلف من آيات، والصور الأولى منه نثر مقفى، وأما الصور الأخيرة (قصار السور) فبعضها شعر صريح، كما أن محمداً قد أبدع في تأليف قرآنه مستخدماً ما في البلاغة والشعر من ثروات فنية)^(٥)، ويؤكد الدكتور محمد مصطفى هدارة أسماء من أعداء الإسلام همهم إثبات وجود شعر في القرآن الكريم فقال: (فعل ذلك (رايت) (Wright)، وجريمي (Grimmo)، كذلك

(١) منهج مونتجمري واط لإدريس (٢٣٥).

(٢) منهج واط في دراسة نبوة محمد لإدريس (٣٥).

(٣) مذاهب التفسير لجولد تسيهر (٨٩).

(٤) موقف مرجليوت من الشعر العربي لهدارة (١/ ٤٠٨).

(٥) انظر المصدر السابق.

نظرية موللر (Maeller) التي أيدها (جاير) (Ceyer) وهي أن قلب القرآن من القوالب الشعرية، لقد أرادوا أن يستغلوا هذا في تأييد فكرتهم في أن القرآن، ليس وحياً من عند الله وهذه غاية خبيثة^(١)، ويقول (بلاشير): (إن الصلة بين القرآن والفصاحة والشعر مبنوثة وفي سورة الرحمن بصورة خاصة فإن الأمر، أمر شعر صاف)^(٢)، فقد وصل الخبث والمكر بهم أن ربطوا بين الإسلام والشعر الجاهلي، لأن الشعر الجاهلي يعبر عن حياة العرب الوثنيين، ومن ثم فإن الإسلام لا يعدو أن يكون تطوراً بشكل ما للوثنية الجاهلية كما عبر عنها الشعر العربي، ويؤكدون على ذلك على أن المسلمين يعتقدون بالجن وتقديس الكعبة وقصص عاد وثمود والحج إلى مكة^(٣)، ولكن والله الحمد: قد قىض الله - تعالى - من علماء المسلمين من يرد على مزاعم أعداء الإسلام في نحورهم، ويضرمون أيدي الناس على المصادر التي تبين تتبع علماء المسلمين منذ وقت مبكر من نزول القرآن الكريم وجمعه وتفسيره، والمصادر التي وردت في المصادر العربية المعتمدة على العلماء الأثبات الأفاضل المحققين، وهذه المصادر البحثية قد عرفها الباحثون المعاصرون بأصالتها ودقتها التي تعتمد على الأسانيد الصحيحة، وقد تم ذلك كله من القرن الأول الهجري، أما النص القرآني نفسه فقد بدء الاهتمام به في حياة الرسول ﷺ إذ كان ﷺ يراجع مع جبريل - عليه السلام - كما كان يستوثق من حفظ الصحابة - رضي الله عنهم - له بسماعه منهم كما فعل مع عبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت رضي الله عنهما، وإذا أراد الإنسان أن يتأكد من أن كل هذه المراءات من صنع أعداء الإسلام فليراجع الأصول اليهودية والنصرانية والإسلام، فيجد بوناً واسعاً شاسعاً بينهما وبين الإسلام.

أما وسائل الاتجاهات الفكرية المنحرفة: فلقد سلك أعداء الإسلام في مقاومة انتشاره وفي محاربة المسلمين طرقاً كثيرة نابعة عن حقد دفين وإصرار قوي على التصدي والمواجهة منطلقين عن تخطيط ومؤامرات مدروسة بدقة وعناية أثمرت نتائج واضحة، ومن أهم الوسائل التي استُخدمت لتفعيل تأثير تلك الاتجاهات الفكرية المعادية ما يأتي:

أولاً: التعليم: يحتل العلم والتعليم أهمية كبيرة لدى جميع البشر، وديننا الإسلامي يؤكد أهمية التعليم والعلم، فقد نزلت أول سورة في القرآن الكريم داعية إلى العلم والحث عليه، يقول الله - تعالى - : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ - ٥]، وتبرز أهمية التعليم في أنه يفتح آفاق المعرفة، فبه تعلق الأمم إلى أعلى القمم، وبدونه تنحدر إلى قعر القيعان، وإدراكاً من أعداء العقيدة الإسلامية لتلك الأهمية، فقد اتخذوا من التعليم وسيلة لاستعباد الأمم والأفراد، وإبعادهم عن الدين الإسلامي

(١) المستشرقون والقرآن لعوض (٣١ - ٣٢).

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) انظر المصدر السابق.

بتشكيكهم فيه والخط من قيمته وتشويه التاريخ والحضارة الإسلامية، وتغريب لغة القرآن الكريم في نفوس أبنائها^(١)، لذلك نجد أن أعداء الدين الإسلامي أولوا التعليم غاية الاهتمام، غير أن التعليم بمرحلة الروضة كان له اهتمام من نوع خاص، حيث يكون الطفل في هذه المرحلة سريع الاستجابة لما يفرض عليه، وخاصة من معلمه الذي يرى أنه قدوة، إضافة إلى أن المعلم لهذه المرحلة كثير الاتصال بأسرة الطفل الأمر الذي قد يؤثر على والدي الطفل، يقول المنصر جون موط: (يجب أن نؤكد في جميع ميادين التبشير جانب العلم بين الصغار، إن الأثر المفسد في الإسلام يبدأ باكراً جداً، من أجل ذلك يجب أن يُحمل الأطفال الصغار إلى المسيح قبل بلوغهم سن الرشد وقبل أن تأخذ طبائعهم أشكالها الإسلامية)^(٢)، ونظراً لأهمية المرأة وللدور الخطير الذي تقوم به تجاه أسرتها ومجتمعها فقد اهتم أعداء الدين الإسلامي بها ومنحوها جانباً من اهتمامهم فأنشأوا المدارس النسوية وخاصة الداخلية، حيث تكون الفتاة بعيدة عن رقابة الأسرة، وهي الفرصة المناسبة للتأثير عليها بعيداً عن أسرتها، ولم يغيب عن بال أعداء الإسلام أوضاع الطلبة المسلمين الذين يدرسون في الجامعات الغربية، فحاصروهم بالمغريات ومدوهم بالكتب المشبوهة المملوءة بالمفتريات على الإسلام، حتى إذا عاد ذلك الشاب إلى بلده متشبعاً بأفكار الغرب، منقلباً إلى ناعق يدعو لهدم الإسلام ولغته، ويصبح خطره أشد لكونه من أهلنا جلدتنا، كما دأب أعداء الإسلام على التوجيه والتركيز بإنشاء المدارس المختلطة من المراحل الأولية وحتى الجامعة، ومعلوم ما في الاختلاط من مفسد وأخطار فهو ينافي العفة، وقد يفقد المرأة حيائها، مما يؤدي بها إلى الابتعاد عن المنهج الرباني^(٣)، والوقوع في الدنس، تقول المنصرة آنا ميلي غان: (لقد استطعنا أن نجتمع في صفوف كلية البنات في القاهرة بنات آبائهن باشوات وبكوات، ولا يوجد مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحي وبالتالي ليس هناك من طريق أقرب إلى تقويض حصن الإسلام من هذه المدرسة)^(٤)، هكذا ينظر أعداء الدين الإسلامي إلى قضية التعليم في البلاد الإسلامية، إما أن يدخلوا تلك المناهج التعليمية في ديار المسلمين عن طريق الاحتيال ومغافلة المسلمين، وإما أن يدخلوها بالقوة والإكراه، كما كان الحال حينما كانت الدول الإسلامية محتلة لهم، على أن كثيراً من الدول الإسلامية اليوم التي تحتفل بعيد الاستقلال في كل سنة، هي لا تملك حتى الحرية في وضع مناهجها التعليمية لأبنائها دون تدخل النفوذ الغربي علانية، أو من وراء حجاب لهي مهازل مؤسفة، ولقد أدى ذلك الاهتمام من أعداء الدين الإسلامي عن طريق التعليم ثماره بين المسلمين، فإذا بكثير منهم يتنكرون لدينهم الإسلامي ولقيمته، ويتمنون لو طُبقت مناهج التعليم الغربية بحذافيرها في جميع البلدان الإسلامية، وبعض هؤلاء وصلوا إلى سدة الحكم ومواقع التأثير، فإذا بهم يلغون التعليم الإسلامي ويمنعون فتح المدارس الإسلامية، وأن يكون البديل هو التعليم

(١) احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام لصالح (٨٢).

(٢) التبشير والاستعمار في البلاد العربية للخالدي (٦٨).

(٣) أجنحة المكر الثلاثة للميداني (٨٠ - ٨٣).

(٤) المذاهب الفكرية المعاصرة (١/ ٣٦٦ - ٣٦٧).

العلماني والمدارس العلمانية، وهذا ما حصل بالفعل في كثير من البلدان الإسلامية وعلى رأسها تركيا ومصر وسوريا ولبنان والعراق وغيرها من البلدان التي تأثرت بسموم الحضارة الغربية، وقد أصبح التعليم كله على مختلف فنونه يهدف إلى تحقيق غاية واحدة وهي إعلاء الفكر المضاد للإسلام، أما الفن والشعر والعلوم والتاريخ والرياضة والتمثيليات والمسرحيات والرحلات الطلابية والمسابقات الثقافية، وسائر الفنون الأخرى كلها لا بد فيها من تحقيق الطموح الغربي والتنفيس عن الحقد الصليبي.

ثانياً: وسائل الإعلام: شكّل الإعلام بوسائله المختلفة أهمية كبرى في تثقيف الناس دينياً وثقافياً، لذلك يقوم أعداء الدين الإسلامي بنشر كثير من الأفكار الهدامة والمعتقدات الضالة التي تحارب الدين الإسلامي، وتعادي الدعوة والحسبة وتسعى لإقصاء الدين وعلمنة الحياة والاعتراض على الله - تعالى - وعلى رسوله ﷺ وإطلاق ألفاظ كفرية خطيرة، فأصبح التلفزيون أداة من أخطر وسائل الإعلام في عالم اليوم، فالكاميرا لا يمكن أن تخطئ في تصوير الحدث كما هو، وقد وصفت بأنها عين الواقع، لأنها تسجل ما يصادفها دون ميل أو عاطفة شعور، لكنها قادرة في المقابل على تضخيم الصورة وحذف مشاهد بحث تبدو كما لو أنها صحيحة مع المبالغة والتركيز على مشاهد بعينها، قد تثير الشعور لدى آخرين بأن صاحب الفكر المنحرف مظلوم يجب مناصرته، وبهذا التصور يمكن القول بأن بعض وسائل الإعلام قد يخدم الفكر المنحرف ولو في جزئية ضئيلة، وفي جانب آخر قد تستفيد بعض المنظمات الإرهابية مما يتناقله الإعلام المعادي للإسلام من تجارب المنظمات الأخرى فيتعاون معها، وتتبنى أسلوبها الإجرامي بالحصول على معلومات مهمة تجنبه الوقوع في أخطاء المنظمات الإرهابية الأخرى^(١)، فالدافع الإعلامي للعمليات الإرهابية يهدف إلى طرح قضية معينة أمام الرأي العام العالمي والمنظمات الدولية وتستخدم المنظمات الإرهابية الدوافع الإعلامية لجذب الانتباه وتوجيه الأنظار تجاه قضاياهم في ظل تجاهل مطالبهم وأهدافهم من قبل بعض وسائل الإعلام المعادين للدين الإسلامي، ونظراً لما للإعلام من أهمية في تحقيق أهداف العمليات الإرهابية، فقد أشار البعض إلى أن الإرهاب: (يعتمد لتحقيق أهدافه على عنصرين أساسيين هما إثارة الذعر ونشر القضية)^(٢).

إن المتابع للإعلام الغربي على وجه الخصوص يجد العنف قد تبوأ مساحة كبيرة، فأفلام الحركة التي تعتبر اتجاهًا عصرياً في هذه الأيام تعتمد بالدرجة الأولى على العنف والاقتتال، ولكي يمكن تبرير هذا العنف لا بد أن تختل موازين العلاقة بين الأفراد أو الجماعات في إحداث هذه الأفلام من أجل أن يجد مخرجوها أسباباً تقنع المشاهد بأن هذا العنف ينسجم مع سلسلة الأحداث التي تحتويها، وفي كثير من الأحيان يكون الغلو في الفكر أو الغلو في فرض الإرادة والسيطرة أو غير ذلك من مجالات الانحراف في العلاقات هو محور هذه الأفلام، وبذلك فإن هذه الأفلام تغرس الانحرافات الفكرية

(١) الإرهاب والعنف السياسي لعز الدين (١٥١).

(٢) انظر المصدر السابق.

والسلوكية إضافة إلى العنف في نفوس مشاهديها^(١)، والمشاهد لأفلام الكراتيه والجودو حتى برامج الأطفال يجد العنف هو الأساس في أحداثها، ولا يخفى على أحد أن التلفاز أداة جاذبة للصغار والكبار ولكل المستويات، وبكل أسف فإن الإعلام في كثير من بلدان العالم الإسلامي يعب من هذه المواد الإعلامية الغربية فتغرس في أبناء المسلمين الاتجاه إلى العنف وبخاصة أن عرض المواد التي تحمل هذا الاتجاه يكون شائعاً يجعلها بالنسبة لأبناء المسلمين مثل السم في العسل^(٢)، ومن المعلوم أن كثيراً من القنوات الإعلامية مملوكة ليهود متعصبين وموجهين لخدمه الصهيونية العالمية، ولا شك أن الغزو الإعلامي الذي تتعرض له الأمة الإسلامية ما هو إلا حرب موجهة للإسلام تنفيذاً لمقررات بروتوكولات حكماء صهيون لإقامه الحكومة اليهودية العالمية^(٣)، ومن وسائل الإعلام التي اتخذها أعداء الإسلام لمحاربه السينما التي أختترت في القرن الماضي ولقد ارتبط ميلاد السينما الأمريكية والأوربية بالسخرية من النمط العربي والإسلامي، ففي عام ١٨٩٣م عندما أسس (توماس أديسون) أول استديو سينمائي في أمريكا، وكان أحد أوائل أفلامه عن العرب والمسلمين بعنوان (رقصة المحجبات السبع) وفي السينما الفرنسية ظهر النمط المسلم العربي في أفلام (جورج ميليه) في عدة أفلام بدأ ظهورها عام ١٨٩٧م بعنوان (المهرج المسلم) و (بياع جوازي الحريم)، كما تعاملت السينما الألمانية مع النمط المسلم العربي الشرير في عدة أفلام منها (حجرة الوجوه الشمعية)^(٤)، فقد تعاملت السينما الغربية مع المسلم على أنه شرير أو مهرج أو أنه يبحث عن المجون والزنا والخنا، ومع قيام دولة الكيان الصهيوني (إسرائيل) بدأت تظهر صورة المسلم كإرهابي ففي فيلم (الحياة والموت في لوس أنجلوس) يظهر الرئيس الأمريكي وهو يلقي خطاباً ويشتهبه أحد العملاء السريين في أن عملاقاً يجري فوق السطح وهو شاب عربي مسلم يحمل حزمة من الديناميت حول جسده ويصرح بلهجة عربية (الموت لإسرائيل وأمريكا ولكل أعداء الإسلام) ويقوم أحد العملاء السريين بجره بعيداً عن السطح قبل أن ينفجر مباشرة وهو يصرخ الله أكبر^(٥)، فأعداء الدين الإسلامي يستخدمون السينما لتشويه الإسلام والمسلمين ومبادئه وقيمه^(٦)، ومن وسائل الإعلام التي استخدمها أعداء الإسلام شبكة الإنترنت التي تعتبر من أحدث الوسائل الإعلامية، وبالرغم من الفوائد العديدة المترتبة على استخدام شبكة الإنترنت إلا أنها تحوي أيضاً عدداً من المخاطر والسلبيات من الجانب العقدي والسياسي، فشبكة الإنترنت لا تخضع لأي معيار، مما حدا بالعديد من الجهات المشبوهة ومن تحارب الإسلام إلى استخدامها، فالصهيونية لها موقع تستخدمه لمحاربة الأديان والبقاء على اليهودية المحرفة، فقد قامت مجموعة يهودية ببث رسالة عبر الإنترنت تحتوي مقاطع مختارة بعنوان (صور عن العرب في التلمود) ويدعى مرسل الرسالة أن الإسماعيليين الذين ذكرهم التلمود ليسوا

(١) الإرهاب سرطان المجتمعات المعاصرة لياسين (١٣٥ - ١٤٠).

(٢) العنف في العمل الإسلامي المعاصر سلسلة دورية لآراء العلماء (٢٥ - ٢٧).

(٣) قضايا إعلامية معاصرة في الوطن العربي لعبد الرحمن (٣).

(٤) الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر (١٠٢).

(٥) دور الإعلام المعاصر في مواجهة الغزو الإعلامي لوزارة الأوقاف بقطر (٣٨٦).

(٦) قلاع المسلمين مهددة من داخلها وخارجها لهنادي (٧٥).

سوى العرب المسلمين، وقد وصفهم التلمود بصفات الشر والشيطنة والإباحية والسفه وغير ذلك من الصفات الدنيئة، وكذلك هناك مواقع لجهات ترعى الإرهاب ونشر الفكر المنحرف، فنجدهم يشرحون كيفية صنع المتفجرات من الأشياء المتوفرة في المنازل، ويمكن لأي إنسان أن يفتح له موقعاً في هذه الشبكة فيصدر ما يشاء من أفكار شاذة أو ضالة، وقد وجد أعداء الإسلام هذه الشبكة مرتعاً خصباً لإثارة الشكوك ونشر الشبهات والضلالات التي لا تمت للإسلام بصلة^(١)، وقد استخدم أعداء الإسلام الوسائل المسموعة عن طريق الإذاعة فهي وسيلة مثالية لمخاطبة الناس على اختلاف مستوياتهم التعليمية والثقافية، فهي تخاطب الجاهل والمتعلم والكبير والصغير والرجل والمرأة، وكذلك استخدموا الوسائل المطبوعة من الكتب والصحافة لإبعاد المسلمين عن الإسلام، يقول الله - تعالى - : ﴿وَدُّوا لَوْ تُكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩]^(٢).

ثالثاً: الخدمات الإنسانية: استغل أعداء الإسلام القيام بأعمال الخير في البلدان الإسلامية أثناء الكوارث الطبيعية كالمجاعات والزلازل والبراكين والفيضانات وغيرها، إضافة إلى تقديم المعونات إلى اللاجئين في أوقات الحروب، وما نراه من انتشار المجاعات في كثير من الدول الإسلامية بسبب كوارث الجفاف والقحط والفيضانات والسيول والحروب أوجد لإعداء الإسلام الفرصة فقدموا المساعدات، وامتدت خدمات أعداء الإسلام إلى التطبيب فاستغلوا هذه المهمة الإنسانية إلى وسيلة لصدهم عن دينهم، فقاموا ببناء المستشفيات التي ظاهرها الرحمة وباطنها من قبلها العذاب، وقد استغلوا حاجة المرضى أسوأ استغلال ويطرق شيطانية مأكرة، تقول المنصرة (إيد هاريس): (يجب على الطبيب أن ينتهز الفرصة ليصل إلى أذان المسلمين وقلوبهم)^(٣)، ويقول المنصرّ الطبيب (اراهاس): (يجب على طبيب إرساليات التنصير أن لا ينسى ولا في لحظة واحدة أنه مبشر قبل كل شيء ثم هو طبيب بعد ذلك)^(٤)، فلما كان الطبيب من المفترض أن يؤدي رسالته الإنسانية حتى يزيل عن كاهل البشر الآلام فقد عكس أعداء الدين الإسلامي هذه الوظيفة ووظفوها لصالحهم في القضاء على الدين الإسلامي، فلقد سلك أعداء الإسلام كل وسيلة ممكنة، وطوّعوا كل ما يمكن أن يؤدي بهم إلى زعزعة الإسلام في نفوس المسلمين فقاموا بعملية التنصير، وعقد المؤتمرات لنشر النصرانية، والدعاية لليهودية والنصرانية، واستغلال المرأة والتجارة، ومحاولة تحديد النسل، وتأليب الحكام على المصلحين والدعاة، والسخرية بعلماء المسلمين والسعي في نشر الهزيمة النفسية للمسلم، وإذكاء النزعات الجاهلية من عصبية وخلافات مذهبية، وتنفير المسلمين من علماء الإسلام، والتشكيك في صلاحية تعاليم الإسلام في العصر الحاضر، ودعوى رعاية حقوق الإنسان، والمناداة بتطبيق المذاهب الفكرية الجديدة كالعلمانية والديمقراطية والشيوعية والعقلانية وغيرها.

(١) صحيفة الجزيرة السعودية العدد (٩٤٤١) بتاريخ ١٢ / ٣ / ١٤١٩ هـ (٩).

(٢) أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تدفعوا الجزية لشليبي (٨٠).

(٣) الموسوعة الميسرة (١ / ٣٨٣).

(٤) الغارة على العالم الإسلامي لشانلي (٣٢).

المبحث الرابع: الأسباب الرئيسية للانحراف الفكري:

إن من أهم أسباب الانحراف الفكري في المجتمع هو الآتي:

أولاً: الجهل بالوحي والعقل السليم: من أسباب ضلال الغلاة والمتطرفين وأصحاب الفكر المنحرف واعتقادهم بالتكفير جهلهم بالمنقول (الوحي) فأما الجهل بالوحي فإن صاحب الفكر المنحرف لم يفهم مضمونه وما دل عليه، بل فهم منه خلاف الحق الذي دل عليه وأريد منه، ثم عارض ما دل عليه بالرأي والمعقول، والصحيح أن المعقول لا يصح لمعارضة الوحي فهو الحق الذي ليس بعده إلا الضلال^(١)، وأصحاب الفكر المنحرف وقعوا في هذا الضلال لأنهم جعلوا العقل وحده هو الحكم فيما لا يمكن إدراكه مع فصله عن الكتاب والسنة فحصل الشك والضلال والانحراف لأصحابه عن المنهج القويم، يقول ابن القيم يرحمه الله: (فإن معارضة الوحي بالعقل هو منهج إبليس عليه لعنة الله، وهو منهج اتباعه من بعده)^(٢) ويصور شيخ الإسلام يرحمه الله ذلك بقوله عن العقل: (فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار، وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها)^(٣).

إن بعض أصحاب الفكر المنحرف والغلاة والمتطرفين والمكفرين يخوضون في المسائل العقدية فيصبحون بين محرف لها أو منكر لها، والسبب هو جهلهم بالعقل والوحي فيحصل الشك والضلال والانحراف عن المنهج القويم، ويتبع ذلك التكذيب بمسائل عظيمة من أمور العقيدة، فجعلهم يجعلهم يشعرون بالتعارض والتناقض بين العقل والنقل، وبفعلهم هذا وقعوا في الضلال بدلاً من الهدى، والظلام بدلاً من النور، والشك بدلاً من اليقين، والتكذيب بدلاً من التصديق، ومن أمثلة جهل بعض الغلاة والمتطرفين وأصحاب الفكر المنحرف بالوحي والعقل، ما نراه من تكفير الخارج عن جماعتهم فيستدلون بالنصوص النقلية كقول الله - تعالى -: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران ١٠٥] وكقول الرسول ﷺ: (من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)^(٤) وقوله ﷺ أيضاً: (من فارق الجماعة شبراً فمات مات ميتة جاهلية)^(٥) فيزعمون أن كل من لم يبايع أميرهم أو فارقهم فهو كافر، حيث يزعمون أنه لا يجوز تعدد الجماعات المسلمة بل يجب أن تكون جماعة واحدة وهي جماعة المسلمين (أي جماعتهم) والخروج عن هذه الجماعة يعد كفراً^(٦) ولذلك يقولون بجاهلية المجتمعات المسلمة، مع أن دار الإسلام لا تتحول إلى دار كفر بمجرد ظهور أحكام الكفر فيها، أو بمجرد استيلاء الكفار عليها مادام سكانها المسلمون يدافعون عن دينهم،

(١) انظر الصواعق المرسلة لابن القيم (٤ / ٢٠).

(٢) المصدر السابق (١ / ٨٨ - ٩٠).

(٣) الفتاوى لابن تيمية (٣ / ٣٣٨ - ٣٣٩).

(٤) صحيح مسلم كتاب الإمامة - باب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن (١٣ / ٣٨).

(٥) (متفق عليه) صحيح البخاري كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ (سترون بعدي أموراً تنكرونها) (٩ / ٤٧) وصحيح مسلم كتاب الإمامة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين (١٢ / ٣٩ - ٤٠).

(٦) انظر ذكرياتي مع جماعة المسلمين لعبد الرحمن أبو الخير (٩٣ - ٩٥).

بل ما داموا يقيمون بعض الشعائر خصوصاً الصلاة، فعن أنس - رضي الله عنه - قال: (كان رسول الله ﷺ يغير إذا طلع الفجر وكان يسمع الأذان فإن سمع أذاناً وإلا أغار)^(١)، فلذا فإن المنهج الحق هو تحكيم الكتاب والسنة الصحيحة في كل قضية من قضايا العقيدة والاعتصام بها وحصر التلقي في أحكام الدين منهما، وأن لا يردا أو لا يعارضا بشيء وهو منهج أهل السنة والجماعة متمسكين بقول الله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] أما أهل التكفير أصحاب الفكر المنحرف فيجهلون النقل والعقل فيقعون في أخطاء متعددة.

ثانياً: الجهل بمنهج السلف الصالح: إن أصحاب الفكر المنحرف يفضلون منهجهم على منهج السلف الصالح، فيجمعون بين الجهل بطريقة السلف والكذب عليهم، وبين الجهل والضلالة بتصويب الخلف ولذلك يقعون في التكفير، يقول شيخ الإسلام - رحمه الله -: (كما أنهم كثيراً ما ينكرون أقوالاً ويكفرون من يقولها وتكون منصوبة عن النبي ﷺ لكثرة ما وقع من الاشتباه والاضطراب في هذا الباب)^(٢) ويقول أيضاً: (أما القول بالمأثور عن السلف والأئمة الذي يجمع القول الصحيح من كل قول فلا يعرفونه ولا يعرفون قائله)^(٣) فالغلاة أصحاب الفكر المنحرف لا علم لهم بمنهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال الذي يقوم على أسس وقواعد من أهمها تحكيم الكتاب والسنة الصحيحة مع وجوب الرجوع عند الاختلاف والتنازع إليهما، والاعتماد على تفسير النصوص بالمأثور، وعدم استخدام قياس الشاهد على الغائب، ومجانبة المصطلحات البدعية، وعدم اعتقاد التعارض بين النقل والعقل، ورفضهم التأويل المذموم وعنايتهم بالأسانيد وثقة الرجال وعدالتهم، أما الغلاة أصحاب الفكر المنحرف فلا يحصرون الاستدلال على الدليل الشرعي ولا يراعون قواعد الاستدلال فلا يفرقون بين المحكم والمتشابه، والعام والخاص، والناسخ والمنسوخ، والنفي والإثبات ويردون مالا يوافق أصولهم وأهواءهم من نصوص الشرع، ولا يعتمدون على تفسير الصحابة - رضي الله عنهم - والسلف الصالح، ويخوضون فيما نهي الله - تعالى - عنه، ويقوم منهجهم على المراء والجدل، ولا يهتمون بالإسناد وعدالة الرجال، مع اعتقادهم التعارض بين النقل والعقل لعدم علمهم ومعرفتهم بالعلوم التي أسسها أهل السنة والجماعة كعلم التفسير وعلوم القرآن، وعلم التوحيد، وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم الأشباه والنظائر القرآنية، وعلم غرائب القرآن الكريم، ولم يكتف أهل السنة والجماعة بذلك بل صنفوا أصولاً وقواعد عامة تعصم الذهن من الخطأ في فهم كتاب الله تعالى، فمن تمسك بمنهج السلف الصالح فقد فاز حيث إنهم كانوا على هدي رسول الله ﷺ، وآثارهم هي السنة والطريق المستقيم، يقول الأوزاعي - رحمه الله -: (وعليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول فإن الأمر ينجلي

(١) صحيح مسلم كتاب الصلاة، باب الإمساك عن الغارة على قوم في دار الكفر إذا سمع منهم الأذان (١/ ٢٨٨).

(٢) درء التعارض لابن تيمية (٢/ ٣٠٨ - ٣٠٩) والنبوات لابن تيمية (٤ - ٥)

(٣) درء التعارض (٢/ ٣٠٨ - ٣٠٩) والإيمان لابن تيمية (١١٤)

وأنت على طريق مستقيم^(١) ولذا فإن الغلاة أصحاب الفكر المنحرف المكفرين لغيرهم ليسوا على شيء لا من جهة الاستدلال ولا من جهة ما استدلو به، فهم ليسوا أهل فهم عن الله - عزوجل -، ولهذا يجب على كل من ناظر في الدليل الشرعي مراعاة ما فهم منه الأولون وما كانوا عليه في العمل به، فهو أخرى بالصواب وأقوم في العلم والعمل^(٢)، فلذا فإن الغلاة أصحاب الفكر المنحرف يكفرون المسلمين بالمعصية، مع أن من الأصول المقررة المشتهرة عند السلف الصالح عدم تكفير مرتكب الكبيرة ما لم يستحلها، يقول النووي - يرحمه الله - : (اعلم أن مذهب أهل الحق أنه لا يكفر أحداً من أهل القبلة بذنب)^(٣) ومع ذلك نجد في الوقت الحاضر من يكفر المسلمين الذين يقومون بالمعاصي فيعتقدون أن كلمة عاصي، هي من أسماء الكفر وتساوي كلمة كافر تماماً ويرجعون ذلك إلى قضية الأسماء فيزعمون أنه ليس في دين الله أن يُسمى المرء في آن واحد مسلماً وكافراً فلذلك يعتقدون أن جماعتهم هي الجماعة الوحيدة الملتزمة بمنهج الحق فيقولون: (إذا كنا الجماعة المسلمة، وإذا اتفق على أننا الجماعة المسلمة المعنية في آخر الزمان، والتي ما أن تظهر حتى تظل ظاهرة لا يضرها من خالفها حتى يقاتل آخرها الدجال)^(٤) فلذا فإن أصحاب الفكر المنحرف في الوقت الحالي قد غلوا في حق الله - تعالى - وحق رسوله ﷺ ، وفي حق ولاية الأمر بل في حق الأمة بأكملها، فأعطوا لأنفسهم حق التكفير والتفسيق والتبديع وإدخال العبد الجنة أو النار، مع تكفير الأمة بأكملها وما ذلك إلا لجهلهم بمنهج السلف الصالح.

ثالثاً: الجهل بدلالات النصوص وأسباب النزول: من أسباب التكفير والخروج عن المجتمع عند أصحاب الفكر

المنحرف وأهل التكفير هو الجهل بدلالات النصوص ووجوه الاستدلال، يقول ابن عباس - رضي الله عنهما - : (إنما أنزل علينا القرآن فقرأناه وعلمنا فيما أنزل وأنه سيكون بعدنا أقوام يقرءون القرآن ولا يدرون فيما أنزل فيكون لكل قوم فيه رأي، فإذا كان كذلك اختلفوا... فإذا اختلفوا اقتتلوا)^(٥) وكذلك كان ابن عمر - رضي الله عنهما - يرى الحروية شرار خلق الله لأنهم انطلقوا إلى آيات أنزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين كقول الله - تعالى - : ﴿... وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] فيقرنون معها : ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَحْمَتِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١] فإذا رأوا الإمام يحكم بغير الحق قالوا: قد كفر ومن كفر عدل بربه، ومن عدل بربه فقد أشرك فهذه الأمة مشركة فيخرجون فيقتلون، فالجهل بدلالة النصوص ومقاصدها من أهم أسباب التكفير، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - يرحمه الله - : (وكانت البدع الأولى مثل بدعة الخوارج إنما هي من سوء فهمهم للقرآن لم يقصدوا معارضته، لكن فهموا منه ما لم يدل

(١) رواه الذهبي في تاريخ الإسلام (١٤١، ١٦٠) والآجري في الشريعة (٥٨)

(٢) انظر الموافقات للشاطبي (٧٢/٣)

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥٠ / ١)

(٤) التوهمات لشكري مصطفى (٣٨) والخلافة لشكري مصطفى (٢٨ / ٣)

(٥) الشاطبي في الاعتصام (١٨٣/٢)

عليه^(١) فالحوارج خرجوا من الدين كما يخرج السهم من الرمية، لأن رسول الله ﷺ وصفهم بأنهم يقرءون القرآن لا يجاور تراقيهم فلا يتفقهون به ولا يصل إلى قلوبهم لأن الفهم راجع إلى القلب، فإذا لم يصل إلى القلب لم يحصل فيه فهم، فمعظم الغلاة يستدلون بالدليل في غير ما يدل عليه، ويبتزون الأدلة حسبما يوافق هواهم، ويأخذون بالدليل ويتجاهلون ما يعارضه أو ما يخصه أو يبينه أو يقيده، يقول الشاطبي - يرحمه الله -: (ومنها تحريف الأدلة عن مواضعها بأن يرد الدليل على مناط ويصرف عن ذلك المناط إلى أمر آخر موهاً بأن المناطين واحد، وهو من خفيات تحريف الكلم عن مواضعه والعياذ بالله ويُغلب على الظن أنه من أقر بالإسلام، ويذم تحريف الكلم عن مواضعه لا يلجأ إليه صراحاً إلا مع اشتباه يعرض له، وجهل يصده عن الحق)^(٢) فبعض أصحاب الفكر المنحرف لا يجمعون بين الأدلة ويقتصرون على بعضها ويضربون القرآن الكريم بعضه ببعض ومن ذلك أنهم يعتمدون على النصوص التي تدعو إلى الخروج على الحاكم الظالم دون أن يجمعوا بينها وبين النصوص التي تمنع الخروج مطلقاً، فقالوا: إن الله - تعالى - يقول: ﴿وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣] فيأخذون بعموم آيات الوعيد فيزعمون أن المعصية الواحدة كافية للخلود في النار، وأن لفظة الكفر ما جاءت في الشريعة إلا لتدل على عكس الإيمان وانتفائه وهي تعبر عن حكم عام يشتمل على عدة أنواع منه لكل نوع منها اسم علم خاص به كالفسق والظلم والخبث فحينما يقول الله عز وجل: ﴿وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧] فإن جميع الثلاثة كفر من حيث الحكم العام مختلفين من حيث أسماء الأعلام ومداخل الكفر، ويقولون: إن كلمة عاصي هي أسم من أسماء الكفر وتساوي كلمة كافر تماماً ومرجع ذلك إلى قضية الأسماء، وإنه ليس في دين الله أن يسمى المرء في آن واحد مسلماً وكافراً، وهذا المنهج يعارض القرآن الكريم، فإن الحق الأبلج هو الجمع بين النصوص وفهمها بمجموعها وهو منهج أهل السنة والجماعة.

رابعاً: الجهل بالسنن الربانية: إن من حكمة الله - تعالى - أنه جعل القضاء قضائين قضاء كوني وقضاء شرعي والقضاء الكوني لا بد أن يقع لا محالة ولا يستلزم رضا الله ومحبه، وأما القضاء الشرعي فقد يقع وقد لا يقع وهو يستلزم رضا الله ومحبه، ومن جملة القضاء الكوني أن الأمة الإسلامية تفترق وتختلف على عدد من المذاهب والملل يقول الله - تعالى -: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود ١١٨ - ١١٩] ويقول الرسول ﷺ: (ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قالوا: ماهي يا رسول الله؟ قال: هي ماكنت عليه وأصحابي)^(٣) وفي حتمية وقوع الذنوب من العباد يقول النبي ﷺ: (والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله

(١) الفتاوى لابن تيمية (٢٠/٣)

(٢) الاعتصام للشاطبي (١٨٣/٢)

(٣) سنن أبي داود، كتاب السنة، (٤/٥) رقم (٤٥٩٦)، وسنن ابن ماجه، باب افتراق الأمم (١٣٢١/٢) رقم (٣٩٩١)، وسنن الترمذي كتاب الإيمان، باب ماجاء في افتراق هذه الأمة

(٢٥/٥) رقم (٢٦٤٠) وقال: حديث حسن صحيح.

فيغفر لهم^(١) وإن نظرة سريعة إلى المجتمع الأول - الذي يعتبر أرقى مجتمع إنساني على مر التاريخ - نجد أنه وقعت حوادث متنوعة مع وجود النبي ﷺ، وهي وإن كانت قليلة ولا تعد ظاهرة إلا أنها تؤكد على أن النقص البشري حاصل، وذلك مثل شرب الخمر^(٢)، والزنا^(٣)، والغش^(٤)، والسرقه^(٥)، والغلول^(٦)، والانتحار^(٧)، وغير ذلك من الكبائر التي لم تخرجهم من الملة ولم توجب لهم سباً أو لعناً بأعيانهم، فقد نهى النبي ﷺ عن سب التائبة من الزنا كما نهى عن سب شارب الخمر مع تكرار الأمر منه مراراً، ألا وإن المجتمعات كلما طال بها الأمد، وابتعدت عن عصر النبوة كانت أكثر عرضة للزلل والتقصير، يقول الرسول ﷺ: (لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم)^(٨) ولا يدل ذلك على الاستسلام والخضوع لهذه الأمور بل لابد من التغيير بالطرق السليمة النافعة يقول الله - تعالى -: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] وقال: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤] فالشارع قد عاب الافتراق وذمه وحذر منه فقال - سبحانه وتعالى -: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ * وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٤-٥] وقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾ [آل عمران: ١٠٣] وقال: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢] وقال - سبحانه وتعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعاً لَآتَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩] ونحو هذا في القرآن الكريم كثير يأمر الله - تعالى - المؤمنين بالجماعة وينهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأما نصوص السنة الدالة على الاجتماع وعدم التفرق فقد بلغت التواتر، فالرسول ﷺ لم يدع شيئاً من الخير إلا ودل الأمة عليه وأرشدوها إليه، ولم يدع شيئاً من الشر والأذى إلا وحذر الأمة منه، ومن ذلك قوله: (فإن من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربة الإسلام من عنقه)^(٩) وقال: (من جاءكم وأمركم على رجل منكم يريد أن يفرق جماعتكم فاضربوا عنقه بالسيف كائناً ما كان)^(١٠) فلذا فإن الاختلاف واقع لا محالة، ولا بد من الهدى والضلال، ولابد من الذنوب والمعاصي، وهذا يعني أن المجتمع المسلم لابد أن يحتضن طوائف متنوعة من الأبرار والفجار، فمن الواجب علينا التسليم لقدر الله الكوني، مع مدافعة الباطل ومعالجته بالحكمة والموعظة الحسنة، وفق الضوابط الشرعية التي وضعها الرب - تعالى - للرفقي بالمجتمع

(١) صحيح مسلم كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار (٢١٠٦/٤).

(٢) صحيح البخاري كتاب الحدود، باب ما يكره في لعن شارب الخمر (٦٣٩٨/٦).

(٣) صحيح مسلم كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا (١١٩/٥).

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب من غشنا فليس منا (٦٩/١).

(٥) صحيح البخاري كتاب الجمعة، باب الطيب للجمعة (٢٤٩١/٦).

(٦) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب تحريم الغلول (٧٥/١).

(٧) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب تحريم الغلول (٧٤/١).

(٨) صحيح البخاري كتاب الفتن، باب لا يأتي زمان... (٢٥٩١/٦).

(٩) (متفق عليه) صحيح البخاري كتاب الفتنة، باب سترون بعدي أموراً تنكرونها (٤/١٣)، ومسلم كتاب الإمامة، باب وجوب الملازمة (٢٧٩/١٢).

(١٠) صحيح مسلم كتاب الإمامة، باب من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع (٢٤١/١٢).

المسلم خاصة، ومما تقدم يتبين أن الجهل بالإرادة الكونية مزلق خطير يقود أصحابه إلى أنواع من الضلالات التي قد تدفعهم إلى الغلو والتطرف في الأقوال والأفعال، فيكون منهم التكفير والتفجير والقتل والترويع، وبذلك ينتشر الفكر المنحرف.

خامساً: الجهل بحقيقة الإيمان: لقد ضل أصحاب الفكر المنحرف في أبواب الإيمان والأسماء والأحكام بأسباب من جملتها: جهلهم بحقيقة الإيمان وعلاقته بالأعمال، فقد عرّف الخوارج والمعتزلة الإيمان بأنه تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالجوارح^(١) ولذا فإنهم يعتقدون أن الأعمال من الإيمان فمن تركها فقد ترك بعض الإيمان، وإذا زال بعضه زال جميعه، لأن الإيمان لا يتبعض، ولا يكون في العبد إيمان ونفاق، فلذا يكون عندهم أصحاب الذنوب مخلدين في النار، إذا كان ليس معهم من الإيمان شيء^(٢)، ومنشأ ضلالهم أنهم ظنوا أن الشخص الواحد لا يكون مستحقاً للثواب والعقاب، والوعد والوعيد، والحمد والذم، بل إما لهذا، وإما لهذا فأحبطوا جميع حسناته بالكبيرة التي فعلها، وقالوا: الإيمان هو الطاعة، فيزول بزوال بعض الطاعة^(٣)، وقد قال أصحاب الفكر المنحرف المعاصرون بقولهم^(٤) لأنهم جهلوا حقيقة الإيمان فزعموا أن الإيمان إذا كان مركباً من أقوال وأعمال ظاهرة وباطنة لزم زواله بزوال بعضها كما يزول أسم العشرة عنها إذا زال أحد أفرادها، وهذا هو الأصل الذي تفرعت عنه البدع في الإيمان، فإنهم ظنوا أنهم متى ذهب بعضه ذهب كله^(٥) ولقد رد شيخ الإسلام - يرحمه الله - على هذه الشبهة فقال: (إن الحقيقة الجامعة لأمر - سواء كانت في الأعيان أو الأعراض - إذا زال بعض تلك الأمور، فقد يزول سائرهما وقد لا يزول ولا يلزم في زوال بعض الأمور المجتمعة زوال سائرهما، سواء سميت مركبة أو مؤلفة أو غير ذلك، وما مثل به المبتدعة من العشرة مطابق لهذا فإن الواحد من العشرة إذا زال لم يلزم زوال التسعة فالمركبات على قسمين: القسم الأول: ما يكون الترتيب شرطاً لإطلاق الاسم مثل العشرة، فإن الواحد المكمل لعدد عشرة شرط في إطلاق اسم العشرة على هذه الأعداد، أما القسم الثاني: ما لا يكون التركيب شرطاً لإطلاق الاسم كالبحر والنهر فإن التركيب ليس شرطاً في إطلاق الاسم ولذلك لو نقص جزء من البحر لا يزول الاسم بل هو باق، ومعظم المركبات من هذا النوع، ومعلوم أن اسم الإيمان من هذا الباب، فإن النبي ﷺ قال: (الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان)^(٦) ثم من المعلوم أنه إذا زالت الإمطة ونحوها لم يزل اسم الإيمان^(٧) فالجهل بمذهب أهل السنة والجماعة الذين يعتقدون أن الإيمان اعتقاد

(١) انظر مقالات الإسلاميين للأشعري (٢١٣/١ - ٢١٤)، التبصير في الدين للاسفرائيني (١٠٧ - ١٠٩)، الملل والنحل للشهرستاني (١٠٨/١ - ١١٣) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي

(٨٧ - ٩٤)، مشارق أنوار العقول للسالمي (١٩٧/٢).

(٢) انظر المسائل والرسائل للإمام أحمد (٨٠/١)، المقالات للأشعري (٢٠٣/١).

(٣) انظر الفتاوى لابن تيمية (٤٨/١٣).

(٤) انظر شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية (١٣٧ - ١٣٨).

(٥) انظر الفتاوى لابن تيمية (٢٢٣/٧).

(٦) (متفق عليه) صحيح البخاري كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان (٤٤/١)، ومسلم كتاب الإيمان باب عدد شعب الإيمان وأفضلها (٧-٣/٢).

(٧) الفتاوى لابن تيمية (٥١٤/٧ - ٥١٧).

وقول وعمل وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بخلاف أصحاب الفكر المنحرف الذين يغالون في الحكم على أصحاب الذنوب والمعاصي، فنجدهم يصدر عنهم حكماً تفسيقاً أو تكفيرياً واحداً فيخرجونهم من الإسلام ويستبيحون قتلهم ويزعمون بخلودهم في النار وذلك لجهلهم بحقيقة الإيمان، وبذلك ينتشر الفكر المنحرف.

سادساً: الجهل بمراتب الأحكام والناس: إن الله - عز وجل - جعل أحكاماً لأفعال العباد، فمنها ما هو طلب

للفعل المسمى (المأمور) ومنها ما هو طلب للترك وذلك المسمى (المنهيات) ومنها ما المكلف مخير فيه بين الفعل والترك وهي (المباحات) وهذه الأحكام وإن كانت مراتب فلكل واحدة منها في ذاتها مراتب متفاوتة، فإن فعل المأمورات وترك المنهيات بينها تفاضل فإن مثوبة بني آدم على أداء الواجبات أعظم من مثوبتهم على ترك المحرمات، وإن عقوبتهم على ترك الواجبات أعظم من عقوبتهم على فعل المحرمات^(١)، وعند التأمل في المأمورات نجد تفاوتاً فيها باعتبار عدة منها الاعتبار بوقت الأداء إذ ينقسم الواجب بهذا الاعتبار إلى قسمين: الواجب الموسع والواجب المضيق، وباعتبار المكلف بأداء العمل ينقسم إلى قسمين واجب عيني وواجب كفائي، أما الاعتبار الثالث: باعتبار درجة الوجوب ومنزلة الفعل الواجب إذ من الواجبات: أركان الإسلام التي يقوم الدين عليها، وهي أول الواجبات، وأساس فرائض الدين، وما عداها يأتي بعدها، بل أركان الإسلام نفسها متفاضلة فأول مأمور وأعظم واجب هو الشهادتان ثم الصلاة ثم تتدرج بعد ذلك الواجبات فليست الواجبات أو الأحكام كلها في درجة واحدة من الوجوب، أما المنهيات فهي على مرتبتين فالله - عز وجل - إما أن ينهى عن الفعل على سبيل الحتم والإلزام فذلك المكروه، والحرام درجات في ذاته، إذ يختلف باعتبارات عدة منها درجة التحريم^(٢)، فإن أعظم المحرمات الشرك والكفر بالله تعالى، والشرك والكفر يتفاوتان في المراتب فهو على نوعين: الأكبر والأصغر، فالكفر والشرك الأكبر يوجبان للخلود في النار، أما الشرك والكفر الأصغر يوجبان استحقاق الوعيد دون الخلود في النار، وهذان يتناولان جميع المعاصي لأنها من خصال الكفر والشرك وشعبها وخصوصاً ما سُمي من المعاصي في النصوص ككفر أو شركاً كقول الرسول ﷺ: (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)^(٣) فإن الكفر هنا ليس الكفر المخرج من الملة بدليل قول الله - تعالى -: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩] فسماهم مؤمنين مع كونهم متقاتلين، ومن هنا يظهر أن الغلاة والمتطرفين أصحاب الفكر المنحرف يجهلون هذه الأحكام فيقعون في تكفير الفرد إذا وقع في أي ذنب من الذنوب سواء كان صغيراً أو كبيراً وذلك لجهلهم بمراتب الأحكام والناس فليس كل من ارتكب معصية يُطلق عليه الكفر والفسوق وبذلك خالفوا السلف الصالح حيث إن أهل السنة والجماعة أجمعوا على هذا التقسيم يقول ابن القيم - رحمه الله -:

(١) انظر المصدر السابق (٨٥/٢٠).

(٢) انظر الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (١١٣/١) والمستصفي للزوالي (٥٣).

(٣) (متفق عليه) صحيح البخاري كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن (٨٤/٧)، صحيح مسلم كتاب الإيمان - باب بيان قول النبي ﷺ سباب المسلم فسوق وقتاله كفر (٨١/١).

(والذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر بنص القرآن والسنة وإجماع السلف)^(١)، أما أصحاب الفكر المنحرف فقد خالفوا أهل السنة والجماعة فجعلوا كل من يقوم بمعصية كافراً خارجاً عن الملة لجهلهم بالأحكام.

سابعاً: ظن أصحاب الفكر المنحرف أنهم على حق فيتمادون: إن من أسباب الغلو والتطرف والفكر المنحرف المؤدي للتكفير أن يتصدر الناس ويرأسهم من يدّعي العلم وهو في الحقيقة جاهل، فعندها تقع الفتنة في الأمة والاختلاف في الدين ويُصاب المجتمع بالفرقة، ولقد أخبرنا رسول الله ﷺ بوقوع هذا الأمر فقال: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)^(٢) ويقول عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: (ألا إن الناس لم يزالوا بخير ما أتاهم العلم من أكابرهم)^(٣) ويقول ابن مسعود - رضي الله عنه -: (لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من أصحاب رسول الله ﷺ ومن أكابرهم، فإذا جاءهم العلم من أصاغرهم فذلك حين هلكوا)^(٤) والمراد بالأصاغر الجهلة الذين يقولون برأيهم وبغير فقه في الكتاب والسنة فيضلون ويضلون، وأصحاب الفكر المنحرف في الغالب أصاغر في العلم وبسببهم تضعف الأمانة، فإن ترؤس هؤلاء الأصاغر الجهلة مؤذن بقرب قيام الساعة يقول الرسول ﷺ: (فإذا ضُيعت الأمانة فانتظر الساعة قالوا: وكيف إضاعتها؟ قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة)^(٥) يقول الشاطبي - رحمه الله -: (يعتقد الإنسان في نفسه أو يُعتقد فيه أنه من أهل العلم والاجتهاد في الدين ولم يبلغ تلك الدرجة فيعمل على ذلك ويُعد رأيه رأياً وخلافه خلافاً...فتراه آخذاً ببعض جزئيات الشريعة في هدم كلياتها، حتى يصير منها ما ظهر له بادئ رأيه من غير إحاطة بمعانيها ولا رسوخ في فهم مقاصدها وهذا هو المبتدع)^(٦)، وإن الدارس لحال الخوارج الأولين يخلص في تقرير منهجهم وأصولهم العامة إلى أن من أخص صفاتهم الجهل بالكتاب والسنة مع ظنهم بأنفسهم أنهم على الحق المبين، وهذا ما يتميز به أصحاب الفكر المنحرف في الوقت الحاضر، ويكفي في ذلك وصف الرسول ﷺ للخوارج بقوله: (حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام)^(٧) فبين أنهم سفهاء الأحلام وهذا دليل على ضعف عقولهم وغلبة الجهل عليهم، ووصفهم بأنهم حدثاء الأسنان وحديث السن في الغالب أقرب إلى الجهل والطيش والتسرع وعدم الرؤية، وجنوح الفكر والتطرف في الرأي من كبير السن، الذي عركته الحياة وحنكته التجارب، وأدرك أهمية النظر في المآلات والعواقب فلذا فإن أصحاب الفكر المنحرف يعتقدون أنفسهم أنهم على الخير فيتمادون فيه فيكفرون الحاكم والمحكوم، ويستحلون الدماء والقتل، ويكفرون الشخص المعين دون مراعاة الضوابط الشرعية في تكفيره، ويتحكمون في الأسماء والأحكام مع أن هذه المسألة حق من

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١١٥/١).

(٢) (متفق عليه) صحيح البخاري كتاب العلم - باب كيف يقبض العلم (٩٤/١) و صحيح مسلم كتاب العلم - باب رفع العلم وقبضه (٢٢٣/١٦).

(٣) جامع بيان العلم للقرطبي (٦١٥/١)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للألكاني (٨٤/١).

(٤) جامع بيان العلم للقرطبي (٧١٦/١)، وذم الكلام للهرودي (٧٧/٥).

(٥) صحيح البخاري كتاب العلم - باب من سئل علماً وهو مستقل (١٤١/١).

(٦) الاعتصام للشاطبي (٤٤٥) ط دار المعرفة - بيروت.

(٧) صحيح البخاري كتاب استقامة المرتدين والمعاندين وقتالهم - باب قتل الخوارج والملحدين (٢٤١/١٢).

حقوق الله - سبحانه وتعالى - فهو الذي يعلم المؤمن من الكافر، والصالح من الطالح، والحسن من القبيح وما فعلوا كل ذلك إلا لاعتقادهم أنهم على الحق فيتمادون فيقومون بعمليات الحرق والسطو على المحلات والهجوم على الأسواق، وخطف الطائرات ونسف المجمعات السكنية والكيانات العمرانية والمنشآت الصناعية والتجارية مع استخدام القنابل والمركبات المدججة بالعبوات المتفجرة وتفخيخ الآلات المتعددة^(١) وكل ذلك وزيادة يقومون به لاعتقادهم أنهم على الحق، وبذلك ينتشر الفكر المنحرف في المجتمع.

المبحث الخامس: وقاية المجتمع من الانحراف الفكري:

إن من أهم الأسباب التي تؤدي إلى نشر الفكر المستنير ما يأتي:

أولاً: الاهتمام بالعلوم الشرعية: يتسم المفارقون والمتحزون الغلاة والمتطرفون أصحاب الفكر المنحرف بالخلل، حيث إنهم يتعلموا على من لا علم عنده، أو على أنفسهم، فلا يقتدون ولا يهتدون بما عليه الراسخون، بل يقدحون فيهم، ويلمزونهم، وانساقوا مع أهوائهم، فحزمو العلم النافع المثلى من مشكاة النبوة وأنوار الرسالة، ووقعوا في ضروب من الضلال، والقول على الله بغير علم، فضلوا وأضلوا لإتباعهم الأصاغر والبعد عن الأكابر، واستكبارهم عن التعلم وطلب العلم من أهله لذا تراهم حتى الساعة متقوقعين منعزلين، يعتمد بعضهم على بعض دون الرجوع إلى العلماء ورجال الحسبة، فينتشر فكر التبديع، والتكفير، ولذا حذر رسول الله ﷺ من ذلك فقال: (إنما ستأتي على الناس سنون خداعة يُصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين وينطق فيها الرويضة قيل وما الرويضة قال: السفية يتكلم في أمر العامة)^(٢) فترك تلقي العلم الشرعي عن العلماء وترك مجالستهم من أعظم أسباب الخلل بمنهج تلقي الدين وتحصيل العلم الشرعي وتجد هذه السمة جلية في كثير من رؤوس البدع وكذلك كان الخوارج لا يتلقون العلم من أئمة الهدى وإنما على بعضهم، وإذا حضر أحدهم مجالس العلماء كان متعالياً مغروراً أو متفرجاً شامتاً، فالتلمذ على الأصاغر والتلقي عنهم من أهم الأمور المؤدية للغلو والتشدد والتطرف والفكر المنحرف حيث إن الغلاة والمفارقين والمتحزين والمتطرفين أصحاب الفكر المنحرف يزهدون في الأخذ عن العلماء لفقد الثقة بهم لأجل أهواء وشبهات وحسد يدفعهم إلى الطعن فيهم، وهذا ينعكس عليهم سلباً فيصدهم الشيطان بمكره عن التلقي من العلماء، ويزين الطعن فيهم، واتهامهم بالتهمة الباطلة، مع أن العلماء هم الأمناء على دين الله - تعالى - فواجب على كل مكلف أخذ الدين من أهله كما قال غير واحد من السلف ومنهم محمد بن سيرين - يرحمه الله -: (إن هذا العلم دين فأنظروا عمن تأخذون دينكم)^(٣) فأصحاب الفكر المنحرف لا يأخذون العلم إلا من رجالهم وشيوخهم الذين لا علم لهم ولا دراية ومع ذلك

(١) انظر العلاقة بين العمليات الإرهابية والغلو والتطرف لعفاف مخنار (١٢٧)

(٢) الإمام أحمد في المسند ح (٧٩١٢) (٣٩١/١٣) وقال شعيب الأرنؤوط إسناده حسن، وأخرجه الحاكم في (٥١٢/٤) وقال الحاكم صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

(٣) صحيح مسلم - المقدمة - باب في أن الإسناد من الدين (٦/١)

يقومون بدور المجتهد الفقيه فيفتون بغير علم مع تصريح كثير من أهل العلم بمنع الجاهل من الفتوى ومنع غيره من تقليده مطلقاً لاتفاق الأمة على منع تقليده لأنه تضييع لإحكام الشريعة^(١)، وقد كان السلف الصالح - يرحمهم الله - يتدافعون الفتوى، يقول القاسم بن محمد - يرحمه الله - : (والله لئن يقطع لساني أحب إلي أن أتكلم بما لا علم لي به)^(٢) وهذا الأمر بخلاف أصحاب الفكر المنحرف فإن كثيراً منهم يتسرعون إلى الفتيا بغير علم ويأنف أحدهم أن يقول فيما لا يعلمه: لا أعلم هذا أو: لا أدري أو يقول: سل عن هذا غيري ويرون في الإحجام عن إجابة السائل غضاضة عليهم وما علموا أن الخطر العظيم في التسرع إلى الفتيا بغير علم، فالفتوى بغير علم داء عظيم وشر مستطير تنبعث منها الفتن والشر والبلاء، وما من صفة تزري بالإنسان كصفة الجهل، فالجهل أعدى أعداء الإنسان، والجاهل يفعل في نفسه ما يستطيع أن يفعله به عدوه يقول شيخ الإسلام يرحمه الله: (وجماع الشر: الجهل والظلم قال الله تعالى: ﴿... وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(٣) [الأحزاب: ٧٢]) (والذي يمنع الإنسان من اتباع الرسول شيئان: إما الجهل وإما فساد القصد)^(٤) والتكذيب بالحق يصدر إما عن جهل وإما عن ظلم، وصاحب الأخلاق الفاسدة إنما يوقعه فيها أحد أمرين: إما الجهل بما فيها أو ما في ضدها فهذا جاهل، وإما الميل والعدوان وهو الظلم، ولا يفعل السيئات إلا جاهل بها، أو محتاج إليها متلذذ بها وهو الظالم، فنهاه عن طاعة الجاهلين والظالمين، وأصحاب الفكر المنحرف دائماً ما يتصفون بتلك الصفات الجهل والظلم، وبذلك يتضح أن كثيراً من أسباب التفرق والتحزب والغلو وانتشار الفكر المنحرف تعود إلى الجهل، فالجهل أساس من أسس الانحراف، ولذا أمرنا الله - عزوجل - بطلب العلم، لأن العمل لا يكون إلا بعلم، يقول الله - تعالى - : ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، ويقول الرسول ﷺ: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)^(٥) ففي الحديث إثبات الخير لمن تفقه في دين الله، وأن ذلك لا يكون بالاكْتِسَاب فقط، بل لمن يفتح الله عليه به^(٦)، يقول النووي - يرحمه الله - : (فيه فضيلة العلم، والتفقه في الدين، والحث عليه، وسببه أنه قائد إلى التقوى)^(٧)، والمراد بالعلم الشرعي: علم الكتاب والسنة، يقول ابن حجر - يرحمه الله - : (والمراد بالعلم: العلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عبادته ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته، وما يجب له من القيام بأمره وتنزيهه عن النقائص)^(٨)، ويقول شيخ الإسلام - يرحمه الله - : (والعلم الممدوح الذي دل عليه الكتاب والسنة، هو العلم الذي

(١) انظر التقليد وأحكامه لسعد الشري (١٢٩)

(٢) إعلام الموقعين لابن القيم (٢١٩/٤) ط دار الجيل - بيروت - لبنان

(٣) الفتاوى لابن تيمية (٣٤٨/٣)

(٤) انظر المصدر السابق (٩٣/١٥)

(٥) (متفق عليه) البخاري كتاب العلم - باب من يرد به خيراً يفقهه في الدين (٦/١)، ومسلم كتاب الزكاة - باب النهي عن المسألة (١/٧١٨ - ٧١٩).

(٦) فتح الباري (١/١٦٤).

(٧) شرح صحيح مسلم (٧/١٢٨).

(٨) فتح الباري (١/١٦٤).

ورثه الأنبياء^(١)، ويقول ابن القيم - يرحمه الله - : (إن العبد لو عرف كل شيء ولم يعرف ربه، فكأنه لم يعرف شيئاً)^(٢)، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - يرحمه الله - أيضاً: (ولهذا يحتاج المتدين المتنوع إلى علم كثير بالكتاب والسنة والفقه في الدين، وإلا فقد يُفسد تورعه الفاسد أكثر مما يصلحه، كما فعله الكفار وأهل البدع من الخوارج والروافض وغيرهم)^(٣) ويمكن أن يُتلقى العلم عن أهله من العلماء في حلقات العلم في المساجد والنوادي ونحوها، كما يمكن أن يُتلقى بالطرق النظامية المعاصرة في المعاهد الشرعية وكلليات الشريعة وأصول الدين والدعوة، والكلليات والمعاهد التي تُعنى بالعلوم الشرعية، فإذا تحقق نشر العلم الشرعي، يؤدي ذلك إلى البعد عن كل ألوان الافتراق والتحزب والغلو والفكر المنحرف، فلذا يجب على رجال الحسبة أن يهتموا بالعلم الشرعي وأن ينشروه في المجتمع.

ثانياً: التلقي عن العلماء: إن من أهم أسباب الافتراق والتحزب والغلو والتطرف والفكر المنحرف هجر مجالس العلماء الربانيين، مع تلقي العقيدة والأحكام من غير الوحي كالاتماد على الرأي المجرد وتقديم العقل على النص واتباع الهوى وما تشتهي النفس واتباع الشيوخ الضالين ولو حتى خالفوا الكتاب والسنة، يقول شيخ الإسلام - يرحمه الله - : (ولهذا نجد المعتزلة والمرجئة والرافضة وغيرهم من أهل البدع يفسرون القرآن برأيهم وعقولهم وما تأولوه من اللغة، ولهذا تجدهم لا يعتمدون على أحاديث النبي ﷺ والصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، ولا يعتمدون على السنة ولا على إجماع السلف وآثارهم، وتجدهم لا يعتمدون على كتب التفسير المأثورة والحديث وآثار السلف، وإنما يعتمدون على كتب الأدب وكتب الكلام التي وضعها رؤسائهم وهذه طريقة الملاحدة)^(٤) فأصحاب الفكر المنحرف لا يتلقون العلم على أيدي أئمة الهدى وإنما على بعضهم، أو لا يتفقهون أصلاً إلا على أصولهم الفاسدة، فيأخذون الأدلة الشرعية ويطوعونها لمفاهيمهم وقناعاتهم الشخصية بمعزل عن العلماء والمشايخ القدوة ورجال الحسبة^(٥) ويعتقدون أنهم على الحق والصواب والرشاد، فيظنون أنهم على هدى فيتمادون في الأعمال التخريبية يقول الله - تعالى - : ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٤] يقول الشاطبي - يرحمه الله - : (الاجتهاد الواقع في الشريعة ضربان: أحدهما الاجتهاد المعتمد شرعاً وهو الصادر عن أهله الذين اضطلعوا بمعرفة ما يفتقر إليه الاجتهاد، والثاني غير المعتمد وهو الصادر عن من ليس بعارف بما يفتقر الاجتهاد إليه، لأن حقيقته أنه رأي بمجرد التشهي والأغراض وخط في عمايه واتباع للهوى، فكل رأي صادر على هذا الوجه فلا مزية في عدم اعتباره لأنه ضد الحق الذي أنزله الله كما قال - سبحانه وتعالى - : ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ...﴾^(٦) [المائدة: ٤٩] فقد يقع الانحراف عن الحق بأسباب منها اتخاذ

(١) الفتاوى (٣٩٦).

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ٦٨).

(٣) الفتاوى (١٤٢ - ١٤١ / ٢٠).

(٤) الفتاوى (١١٩/٧).

(٥) انظر دراسات في الأهواء والفرق للعقل (٣١٤).

(٦) الموافقات للشاطبي (١٦٧/٤).

العلم من الجهال فينتج عن ذلك الضلال والإضلال، يضلون هم بإفتاء الناس بالباطل، وقولهم على الله - عزوجل - بغير علم، وهذا أمر في غاية الخطورة، إذ القول على الله - عزوجل - بغير علم قد يؤدي إلى ارتكاب منكرات عظيمة أو ترك واجبات مهمة، ويضلون الناس الذين اتبعوهم إذا التزموا قولهم وبنوا على فتواهم وتمسكوا بها فكانت طريقة لضلالهم ولذلك يقول الرسول ﷺ: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)^(١) ولذا وضع لنا الرسول ﷺ قيمة العلماء الربانيين فقال: (إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر)^(٢) فالعلماء خلفوا الأنبياء في أمهم بالدعوة إلى الله - تعالى - وإلى طاعته، والنهي عن معاصي الله والذود عن دينه، حيث آتاهم الله - تعالى - قوة حفظ وفهم وفقه في دين الله - تعالى - وبصيرة ففجروا من النصوص أنهار العلوم، وما خصوا بهذه المكانة إلا لأنهم صرفوا همهم إلى العلم بكلام الله - سبحانه وتعالى - وكلام رسوله ﷺ وأحواله، وبواطن أموره وظواهرها، فهم أعلم الأمة وأخصها بعلم الرسول ﷺ، يقول الشاطبي - يرحمه الله -: (لا يتبع أحد من العلماء إلا من حيث هو متوجه نحو الشريعة قائم بحجتها، حاكم بأحكامها جملة وتفصيلاً، وأنه متى وُجد متوجهاً غير تلك الوجهة في جزئية من الجزئيات أو فرع من الفروع لم يكن حاكماً، ولا استقام أن يكون مُقتدي به فيما حاد عن صوب الشريعة البتة)^(٣) لذا فقد كان سبب انحراف الخوارج والغلاة أصحاب الفكر المنحرف في السابق هو اعتقادهم بأهوائهم وأصولهم في مقابل النصوص النقلية واعتدادهم بأنفسهم في مقابل العلم، فكان أول خارج ذو الخويصرة حيث اعترض على النبي ﷺ فقال له: (اعدل يا رسول الله)^(٤) وفي الوقت الحالي نجد بعض أصحاب الفكر المنحرف يعرضون عن العلماء ويعتقدون بذواتهم ويؤكدون أن الناس سواء في القدرة على الاجتهاد والاستنباط، وأن الفقهاء لا يحملون من العلم أكثر مما يحمله الناس الآخرون، وأن الفقيه له فهمه الخاص به، وأنهم ليسوا بحاجة إليه، ثم يتبعون ذلك بالرد على أهل السنة والجماعة بالأدلة التي يزعمون أنها أفضل الأدلة وأحسنها ثم يقعون في تكفير غيرهم ولم يحصل ذلك كله وزيادة إلا بسبب هجرهم العلماء ورجال الحسبة، فعلى العلماء ورجال الحسبة الاهتمام بهذا الأمر وحث المجتمع على تلقي العلم من العلماء الربانيين.

ثالثاً: العلم بمقاصد الشريعة وفهم الألفاظ الشرعية: إن من أهم أسباب التفرق والتحزب عدم العلم بمقاصد

الشريعة وفهم الألفاظ الشرعية حيث إن أحكام الشرع تدل على أن هناك مقاصد يرمي إليها الشارع الحكيم - سبحانه -

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه أحمد في المسند (١٩٦/٥)، وأبو داود في كتاب العلم - باب الحث على طلب العلم (٨٥/٤)، والترمذي في كتاب العلم - باب ما جاء في فضل الفقه (٤٩/٥).

(٣) الاعتصام للشاطبي (٨٦٠/٢)

(٤) (متفق عليه) صحيح البخاري كتاب استنابة المرتدين - باب قتل الخوارج والملحد بعد إقامة الحجة عليهم (٥٢/٨) و صحيح مسلم كتاب الزكاة - باب ذكر الخوارج وصفاتهم

(٤٧٠/١)

فكما أنه لا يخلق عبثاً، فكذلك لا يشرع أمراً عبثاً، والأحكام الشرعية ليست مقصودة لذاتها، وإنما قصد بها أمور أخرى هي معانيها والمصالح التي شرعت لأجلها^(١)، وهذه المصالح شاملة للدنيا والآخرة، كما أنها شاملة لجميع أنواع التكاليف، وجميع أنواع المكلفين، يقول الشاطبي -يرحمه الله-: (إذا ثبت أن الشارع قد قصد بالتشريع إقامة المصالح الأخروية والدينية، وذلك على وجه لا يختل لها به نظام، لا بحسب الكل ولا بحسب الجزء، وسواء في ذلك ما كان من قبيل الضروريات أو الحاجيات أو التحسينات، فلا بد أن يكون وضعها على ذلك الوجه أبدياً و كلياً وعماماً في جميع أنواع التكاليف والمكلفين وجميع الأحوال، وكذلك وجدنا الأمر فيها والحمد لله)^(٢).

ولذلك فإن المكلف محتاج للعلم بالمقاصد، ذلك أن الشارع قصد من المكلف أن يكون قصده في العمل موافقاً لقصد الشارع في التشريع، لأن الشريعة وضعت لمصالح العباد، والمطلوب من المكلف أن يجري على ذلك في أفعاله، ولا يخالف مقاصد الشارع الذي خلق العباد لعبادته، حيث إن المخالفة فيها إهدار لما اعتبره الشارع واعتبار لما أهدر، فإن المكلف إن قصد غير ما قصده الشارع - وذلك إنما يكون في الغالب لتوهم أن المصلحة فيما قصد، لأن العاقل لا يقصد وجه المفسدة كفاحاً - فقد جعل ما قصد الشرع مهمل الاعتبار، وما أهمل الشارع مقصوداً معتبراً، وذلك مضادة للشريعة ظاهرة، ولذلك فإن معرفة المقاصد عائدة إلى الاستقراء المفيد للقطع، لأن مرجعها هو إلى مجموع أدلة الشريعة، وبناء عليه فإن من المهم أن يُعرف أن تحديد مقاصد الشريعة والمصالح والمفاسد، والمنافع والمضار ليس إلى أهواء النفوس، بل إنما تُعتبر من حيث تُقام الحياة الدنيا للحياة الآخرة، لا من حيث أهواء النفوس، وطلب منافعها العاجلة كيف كانت، وقد قال ربنا - سبحانه -: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١]^(٣)، ويقول الشاطبي - يرحمه الله - أيضاً: (وبذلك كله يُعلم من قصد الشارع أنه لم يكل شيئاً من التبعات إلى آراء العباد فلم يبق إلا الوقوف عند ما حده)^(٤) وإذا كانت معرفة المقاصد عائدة إلى الاستقراء فإن الذي يملك ذلك هم أهل العلم والعلماء ورجال الحسبة لأن استقراء النصوص لا يقع لغيرهم، وفهم المقاصد خاص بأهل العلم، فإذا بلغ الإنسان مبلغاً فهم عن الشارع فيه قصده في كل مسألة من مسائل الشريعة، وفي كل باب من أبوابها فقد حصل له وصف هو السبب في تنزيله منزلة الخليفة للنبي ﷺ في التعليم والفتيا والحكم بما أراد الله^(٥)، ولذلك فإن من أهم أسباب القضاء على الافتراق والتحزب والغلو والفكر المنحرف فقه مقاصد الشريعة، وفقه الموازنة بين المصالح والمفاسد، وهذا فقه عزيز لا يُنال إلا بالعلم، وعلى عامة الناس أن يتبعوا أهل العلم، وأهل الفقه بمقاصد الشارع الحكيم، وأهل رعاية المصالح والمفاسد على وفق ضوابط الشرع، يقول الله - تعالى -: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ

(١) الموافقات (٢/ ٣٨٥).

(٢) انظر المصدر السابق (٢/ ٣٧).

(٣) الموافقات (٢/ ٢٧ - ٣٨).

(٤) الاعتصام (٢/ ٦٣٤ - ٦٣٥).

(٥) الموافقات (٤/ ١٠٦ - ١٠٧).

الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأنبياء: ٨٣]، فإن معرفة مقاصد الشريعة، ورعايتها ورعاية رتب المصالح والمفاسد، مانع من موانع الغلو والافتراق والتحيز والانحراف، إذ كان الجهل بتلك المقاصد سائقاً إلى الغلو والتطرف والافتراق والتحيز والفكر المنحرف، كما وقع المتشددون على أنفسهم في الغلو لجهلهم بأن اليسر ورفع الحرج من مقاصد الشارع الحكيم، وكما وقع الخارجون على الأحكام المسلمين في التفرق لعدم علمهم بأن ما أمر به الرسول ﷺ من الصبر على جور الأئمة، وترك قتالهم والخروج عليهم، هو أصلح للأمر في المعاش والمعاد، وأن من خالف ذلك متعمداً أو مخطئاً لم يحصل لفعله صلاح بل فساد^(١)، ومن أهم الأسباب التي تؤدي إلى التفرق والتحيز والغلو والفكر المنحرف الجهل بفهم الألفاظ الشرعية، حيث إن من المسلمات في العلوم الشرعية: تفاوت مراتب الأحكام الشرعية وتنوعها، وهذا التفاوت والتنوع يبني عليه أمور كثيرة في الدعوة وفي الحكم على الناس، وفي عمل الإنسان ذاته، ولقد أتى بعض الواقعين في الافتراق والغلو والتحيز والفكر المنحرف من جهلهم بمراتب الأحكام وتسويتهم في ذلك بينها في الحكم على فاعل الفعل أو تاركه، وما مسألة التكفير بالمعصية إلا لون من ألوان الانحراف الناتج عن الجهل بفهم الألفاظ الشرعية، وبمراتب الأحكام وعدم رعاية تلك المراتب، فلقد ساوى الخوارج ومن خلفهم من الغلاة والمتفرقين والمتحيزين أصحاب الفكر المنحرف بين الشرك والمعاصي^(٢)، فالخوارج في مسألة التحكيم استدلووا بأدلة من القرآن الكريم كقول الله - تعالى -: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧] وعند تنفيذ أحكام الله ردها وقالوا: إنا لا نحكم الرجال، وفي الحقيقة هم يحكمون بالكفر والفسق والضلالة والظلم كحكمهم على الصحابة - رضي الله عنهم - بالكفر والفسوق والخلود في النار، فلعدم فهمهم لألفاظ الشريعة ومراتب الأحكام ردوا الأحكام الشرعية فإله - تعالى - أمرنا بطاعة ولي الأمر وعدم الخروج عليه، وهم مع استدلالهم بهذه الأدلة، إلا أنهم ردها بالفعل وخرجوا على السلطان وحاربوه وقتلوه، ومن أمثلة ردهم للأحكام قتلهم للمسلمين وتركهم للنصارى وعبدة الأصنام كما قال الرسول ﷺ -: (يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان)^(٣)، فلقد ساوى الخوارج ومن خلفهم من أصحاب الفكر المنحرف بين الشرك والمعاصي، فجعلوا ذلك كله مكفراً، ولو أنهم علموا وفهموا الألفاظ الشرعية لسلموا من غوائل الغلو والافتراق والتحيز، ولذا فإن من أهم الأسباب للقضاء على التفرق والتحيز والفكر المنحرف هو العلم بالألفاظ الشرعية ومراتب الأحكام، وعلى رجال الحسبة الاهتمام بهذا الأمر لنشر الفكر المستنير.

رابعاً: الثقة بالله مع الأخذ بالموعظة الحسنة: إن من أسباب الوقوع في الافتراق والتحيز والتفرق والفكر

المنحرف اليأس الذي يسوق إلى الأفعال البائسة، فإذا كان المرء مصاباً بالقنوط من إصلاح الناس، اندفع إلى القتل أو

(١) منهاج السنة (٤/ ٥٣).

(٢) انظر تاريخ الطبري (٥/ ٧٢ - ٩٣)، الكامل في التاريخ لابن الأثير ط دار صادر (٢/ ٣٣٤)، البداية والنهاية ط ٥ (١٩٨٣م) (٧/ ٢٩٦ - ٣٠٦).

(٣) مسلم كتاب الزكاة - باب إعطاء المؤلف قلوبهم (٧/ ١٦٢).

العنف، لأن ذلك العنف هو الأسلوب الناجح بمعتقد الخاطيء، وأما التفاؤل والتوافق النفسي هو إحساس الفرد بالرضا الذاتي نحو عمله وسلوكه المرغوب في المجتمع الذي يعيش فيه، فمط السلوك الذي يحدث وفق معايير الجماعة، ومثلها، واتجاهاتها وقيمها الاجتماعية^(١)، ويشمل ذلك التوافق مع الذات والرضا عن النفس، والتوافق الاجتماعي مع الأسرة والمدرسة والمهنة والمجتمع بشكل عام، فالتفاؤل بالله - عز وجل - مع التوافق مع الذات يستشعر من خلاله العبد الطمأنينة والثقة واحترام النفس وتقبلها^(٢)، والتوافق الاجتماعي يُشعر الفرد من خلاله بحب الآخرين والثقة فيهم، والقدرة على إقامة علاقات اجتماعية سليمة، والانتماء للمجتمع، والاضطلاع بالأدوار الاجتماعية المناسبة، والتفاعل في الحياة الاجتماعية، لذلك يحث الإسلام على التوافق الحسن، فيأمر بالتعاون على البر والتقوى، ويحض على التسامح والمودة وحسن الجوار، والإصلاح بين الناس، يقول الله - تعالى - : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، كما نهي عن كل ما يخل بتوافق الإنسان من مجتمعه، فأمر باجتناب الحسد والتباغض وسوء الظن والخصومة^(٣)، يقول الرسول - ﷺ - : (لا تباغضوا ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يخل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام)^(٤)، كما أمر الإسلام الفرد بالتزام الجماعة، والخضوع لقواعد السلوك فيها، يقول الله - تعالى - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، ولم يجعل الإسلام توافق العبد مع ذاته ومجتمعه توافقاً قائماً على الخضوع الجبري، بل جعله توافقاً مسئولاً قائماً على بصيرة وإرادة الفرد حيث ألزمه إصلاح نفسه، والعمل من أجل الجماعة خضوعاً لأحكام الشريعة، فإن تعذر إصلاح الجماعة فعليه إصلاح نفسه، وعدم الطاعة في المعصية، فالطاعة إنما هي في المعروف، يقول الرسول - ﷺ - : (إنما الطاعة في المعروف)^(٥)، ويقول: (على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة)^(٦)، وحين التأمل نجد أن كثيراً ممن اتهموا بالغلو والافتراق والتحزب والفكر المنحرف هم ممن يفتقد التوافق مع المجتمع، ولكنهم حين افتقدوا هذا التوافق لم يسيروا إلى الأساليب الشرعية في التغيير، ودعوة الناس إلى دين الله - تعالى - بل انحرفوا وتحزبوا وهذا ما حصل مع فرقة الخوارج حيث إنهم يجمعون على أن مخالفهم يستحق السيف والقتل، ولم يسلم منهم حتى أطفال المسلمين، وهذا ما يحصل من بعض الشباب الذين يُنسبون للإسلام قولاً لا عملاً كجماعة التكفير والهجرة، وجماعة الكهف، وهذا ما نوه به ماهر بكري فيزعم أن عدم التوافق مع المجتمع يُعد سبباً من أسباب الغلو، إذ نتج عن ذلك القول بوجوب

(١) في النفس والقرآن (٢١).

(٢) الصحة النفسية والعلاج النفسي (١٣).

(٣) المدخل إلى الصحة النفسية (٩٢).

(٤) (متفق عليه) البخاري كتاب الأدب - باب ما ينهى عن التحاسد والتدابير وقوله - تعالى - : ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ (٧/ ٨٨)، ومسلم كتاب البر والصلة والأدب - باب تحريم

التحاسد والتباغض والتدابير (٢/ ١٩٨٣).

(٥) البخاري كتاب الأحكام - باب السمع والطاعة للإمام (٩/ ٧٩).

(٦) (متفق عليه) البخاري كتاب الجهاد والسير وباب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية (٤/ ٧)، ومسلم كتاب الإمارة - باب وجوب طاعة الأُمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية

(٢/ ١٤٦٩).

الهجرة، وحرمة الصلاة في المساجد، إلا المساجد الأربعة الحرام والنبوي والأقصى وقباء، والقول بجرمة العمل في الوظائف الحكومية، لذا نجد أن الدين الإسلامي يُحث على التبشير في موضع الخوف، وبث الأمل في النفوس في مواضع اليأس والقنوط، لأنه ما لم يجد المرء أملاً يعمل جاهداً لتحقيقه، فإنه يُصاب بالإحباط، فعن خباب بن الأرت - رضي الله عنه - قال: أتيت النبي ﷺ وهو يتوسد بردة، وهو في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: يا رسول الله، ألا تدعو الله لنا؟ فقعد وهو محمر وجهه فقال: (لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد، ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه، فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، ما يخاف إلا الله والذئب على غنمة ولكنكم تستعجلون)^(١)، فإذا امتلأت النفوس أملاً وتفاؤلاً، انصرفت نحو العمل الجاد البناء بدعوة الناس إلى الخير، وإذا امتلأت النفوس بتلك الثقة برئت من أدواء التوهم واليأس والقنوط المانعة من العمل النافع، الدافعة إلى أفعال وأقوال لا تتفق مع المنهج الذي سار عليه النبي ﷺ في دعوته للناس.

وإن من أهم أسباب الوقوع في الغلو والافتراق والتحزب والفكر المنحرف عدم الأخذ بالموعظة الحسنة، حيث إن من حق المسلم على المسلم النصح له، ففي حديث جرير بن عبد الله البجلي - رضي الله عنه - قال: (بايعت الرسول ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم)^(٢)، ويقول الرسول ﷺ: (الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم)^(٣)، فمن حق المسلم على أخيه: أن ينصحه إن رأى منه انحرافاً، أو معصية، أو غلوً وابتداعاً، وهذا ما فعله الرسول ﷺ مع بعض أصحابه حين وقع في لون من ألوان الغلو، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - يقول: (جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: أئن نحن من النبي ﷺ فقد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر، ولا أفطر، وقال آخر: أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: (إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)^(٤)، فلذا فإن من أهم الأسباب للقضاء على الغلو والافتراق والتحزب والفكر المنحرف قبول الموعظة الحسنة والنصيحة والخوف من الله - تعالى -، وعلى رجال الحسبة استعمال الحكمة والموعظة الحسنة في دعوتهم للآخرين حتى ينتشر الفكر الآمن المستنير.

(١) البخاري كتاب علامات النبوة - باب علامات النبوة في الإسلام (١٢٦ / ٧).

(٢) (متفق عليه) البخاري كتاب الإيمان - باب قول النبي ﷺ: الدين النصيحة لله ولرسوله (٢٠ / ١)، ومسلم كتاب الإيمان - باب بيان أن الدين النصيحة (٧٥ / ١).

(٣) مسلم كتاب الإيمان - باب بيان أن الدين النصيحة (٧٤ / ١).

(٤) سبق تخريجه.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وُتُرفِع الدرجات، وتَجبر العثرات، وتمحى الزلات، وتضاعف الحسنات وبعد: فقد منَّ الله - تعالى - علي باستكمال هذا البحث وقد توصلت من خلاله إلى عدد من الأمور منها:

١. أن الفكر المنحرف هو الفكر الذي يؤدي إلى جرائم يصاحبها استعمال غير قانوني لوسائل القسر المادي أو البدني في الإضرار بشخص أو شيء، أو ابتغاء تحقيق غايات شخصية، أو اجتماعية، أو سياسية، ومن أمثلها جرائم القتل والاعتصاب والسطو المسلح وقطع الطريق وهتك العرض بالقوة أو التهديد والسرقة بالإكراه والتخريب والاعتقال.
٢. أن الخيرية لأمة الإسلام والتمكين لها في الأرض والظفر بالسلطان والحكم يتم عن طريق الحسبة.
٣. أن الحسبة تحمي الأمة الإسلامية من العذاب وتسبب نزول الرحمة والبركات عليها.
٤. إذا تعاون المجتمع على تحقيق الحسبة حوصرت الأفكار الرديئة والأعمال الفاسدة، فيصبح المجتمع آمناً مطمئناً متكاملًا.
٥. على المحتسب أن يكون على يقين بأن ما يقوم به سيأتي بنتيجة مثمرة وطيبة.
٦. أن تكليف المدعويين بكل ما يريده الله - تعالى - دفعة واحدة قد يكون أمراً فوق الطاقة.
٧. لا بد من تعدد الوسائل والأساليب في الحسبة حتى تؤتي ثمارها.
٨. على المحتسب عند قيامه بدرجة من درجات التغيير أن يلاحظ ترتيب المراتب، حيث إن تجاوز هذه المراتب يُعد خروجاً عن الحكمة في الحسبة.
٩. اصطنع أعداء الدين الإسلامي أسلوب الاتجاهات الفكرية كقوة مضادة للعالم الإسلامي تمهيداً للسيطرة الفكرية ومن ثم السيطرة على أشكال الحياة المختلفة.
١٠. وجد الغرب في الفكر أداتهم لتدمير وتشويه الدين الإسلامي حتى تتحقق أهدافهم.
١١. لقد ركز المستشرقون على عملية تشويه الدين الإسلامي، وقاموا بدراسات عديدة وأثاروا حولها قضايا شائكة مثل: هل القرآن كلام الله حقاً؟ هل نزل وحياً بواسطة جبريل؟ وهل جبريل حق؟ والنبوة حق؟ وهل تدخل وعي محمد أو لا وعيه في تأليفه للإسلام؟ وغير ذلك كثير.
١٢. قام المستشرقون بترجمة القرآن الكريم وقد خلت هذه الترجمة تماماً من الأمانة العلمية وامتألت بالتزييف والتحريف، وكثرت فيها الأخطاء وتعددت فيها مواضع الحذف والإضافة.

١٣. من جملة تشويه أعداء الإسلام للدين الإسلامي اتهامهم محمد ﷺ بالزندقة والنفاق والضلال، وادعاء نزول الوحي عليه لتحقيق أغراضه، وأن السيف هو الأساس الذي تقوم عليه الدولة الإسلامية.
١٤. أن التنصير يهدف إلى إحكام السيطرة على الشعوب الإسلامية، وإخراجها من الدين الإسلامي، وليس بالضرورة إدخالهم في النصرانية.
١٥. الغاية التي يهدف إليها التنصير هي إخراج المسلم من الإسلام فقط، ليكون مضطرباً في دينه وعندها لا تكون له عقيدة يسترشد بهديها.
١٦. من أهداف التنصير ترسيخ مفهوم الفوقية والدونية، ومن ثم تخضع الشعوب الإسلامية للرجل الأبيض ومن ثم تهيئة الأجواء لقبول ما يُسمى بالعملة أو الكوكبة التي تزيل الحواجز الثقافية وتذيب الفروق بين المجتمعات الإنسانية المختلفة.
١٧. الماسونية منظمة يهودية سرية هدامة، إرهابية، غامضة، محكمة التنظيم تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم، وتدعو إلى الإلحاد والإباحية والفساد، وتتستر تحت شعارات خداعة: إخاء، مساواة، إنسانية.
١٨. تزعم الماسونية أن محمداً ﷺ ليس نبياً مرسلًا من الله - تعالى - وأن القرآن الكريم هو كلام استقاه محمد ﷺ من التوراة والإنجيل.
١٩. تسعى الماسونية لتهديم الأديان والمبادئ الأخلاقية والفكرية ونشر الفوضى والانحلال والانحراف الفكري والإرهاب مع استعمال الرشوة بالمال والجنس لتحقيق أهدافها الدنيئة.
٢٠. تعمل الماسونية على السيطرة على رؤساء الدول لضمان تنفيذ أهدافها التدميرية، مع السيطرة على الشخصيات البارزة في مختلف الاختصاصات لتكون أعمالهم متكاملة.
٢١. لقد ظهرت الماسونية بأسماء جديدة مثل الروتاري والليونز وبناي برث (أبناء العهد) والمائدة المستديرة والإخاء الديني وجمعية أنصار السلام.
٢٢. العلمانية هي دعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل ومراعاة المصلحة بعيداً عن الدين.
٢٣. تضافرت جهود علماء اللائكية وتعاليت أصواتهم في محاربتهم للدين الإسلامي ووصفه بالجهل والغباء والنزق والتطرف ومعاداة الحياة السعيدة.
٢٤. العلمانية قدّست الإنسان والإنسانية والطبيعة والصدفة والقوانين الأخرى وأحلّوها محل الله عزوجل.
٢٥. من خطط العلمانية: تميع الفوارق بين الدين الإسلامي ومختلف الاتجاهات حتى يجمعوا المسلم والنصراني واليهودي وغيرهم في بوتقة واحدة متساوية.

٢٦. الشيوعية مذهب فكري يقوم على الإلحاد، وأن المادة هي أساس كل شيء ويفسر التاريخ بصراع الطبقات وبالعامل الاقتصادي.

٢٧. تزعم الشيوعية أن القرآن الكريم هو مجموعة من المواد الدينية والأسطورية القانونية، وأن الإسلام قد انتهى عصره، وأن محمداً ﷺ إمام الاشتراكيين.

٢٨. لم تترك الشيوعية أمراً من أمور الأمة الإسلامية وإلا تدخلت فيه بطرق ملتوية حتى تصل إلى مرادها مما أدى إلى ضعف الأمة الإسلامية.

٢٩. لقد قام أعداء الدين الإسلامي بتشويه الدين الإسلامي عن طريق التشكيك في القرآن الكريم والسنة النبوية، والزعم بأن الفقه الإسلامي مستمد من الرومان، وأن الإسلام مقتبس من التوراة والإنجيل.

٣٠. يهتم أعداء الإسلام بتعلم اللغة العربية حتى يحاربوا العرب والمسلمين بلغتهم وأساليبهم.

٣١. من الأسباب المؤدية للانحراف الفكري الجهل بالوحي والعقل السليم وبمنهج السلف الصالح وبدلالات النصوص، وأسباب النزول، وبالسنن الربانية، وبحقيقة الإيمان، وبنسب الأحكام والناس، وباللغة العربية والتاريخ، مع ظن أصحاب الفكر المنحرف أنهم على حق فيتمادون فيه، مع اتباع المتشابه من النصوص والاجتهاد من غير أهل مع ضعف دور العلماء ورجال الحسبة.

٣٢. أن وقاية المجتمع من الانحراف الفكري يتم عن طريق الاعتصام بالكتاب والسنة، مع نشر مذهب أهل السنة والجماعة، والعلم بحقيقة الإيمان والجمع بين الأدلة، مع الاهتمام بالعلوم النقلية الشرعية، والتلقي عن العلماء ومعرفة مراتب الناس، والعلم بمقاصد الشريعة وفهم الألفاظ الشرعية، والثقة بالله مع الأخذ بالموعظة الحسنة وكل ذلك يتم عن طريق العلماء ورجال الحسبة.

التوصيات

١. يجب العمل الجاد على إصلاح مؤسسة الحسبة لتكون أكثر اتساقاً مع مطالب العدالة ورعاية حق الأمة الإسلامية.

٢. العمل على تماسك المنظمات الإسلامية كمنظمة المؤتمر الإسلامي للوقوف في وجه ازدواجية المعايير الغربية، والوقوف ضد فرض الواقع التي تفرضه بعض الدول القوية في التعامل مع بعض الدول في العالم الإسلامي.

٣. العمل عبر جسر النخبة الفكرية والثقافية في العالم وخبراء القانون الدولي، وذلك عن طريق بيان الأخطار التي تهدد استقرار الأمة الإسلامية في حالة انتشار الفكر المنحرف.

٤. تدريس المواد التي يحتاجها العصر برؤية شرعية مثل مادة فقه الأئمة، وفقه الواقع، وفقه الجماعة.

٥. تكاتف العلماء والفقهاء لتوحيد الجهود والفتاوى.
٦. استغلال المنابر العلمية لتوحيد الأهداف والأعمال.
٧. إن على العلماء والخطباء والدعاة والأسر والهيئات الشرعية وولاة الأمر ورجال الأمن والمتقنين والكتاب دوراً لجمع الشمل، وتوحيد الصف، وتأليف القلوب، والنصر على الأعداء.

المصادر والمراجع:

١. الإبانة الكبرى لابن بطة العكبري - تحقيق الدكتور: فوقية حسن - القاهرة.
٢. الابتعاث ومخاطره - محمد لطفي الصباغ - توزيع إدارة البحوث العلمية - السعودية.
٣. الاتجاهات الفكرية المعاصرة - د: علي جريشة - دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة - مصر - ط ١٤١١هـ.
٤. الإجرام المعاصر - د: محمد فتحي عيد - الرياض - السعودية - ١٤١٩هـ.
٥. احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام - د: سعد الدين صالح - دار الأرقم - الرقازيق - مصر - ط ١٤١٣هـ.
٦. الإحكام في أصول الأحكام للآمدي - تعليق الشيخ: عبد الرزاق عفيف - ١٣٨٧هـ.
٧. أخطار المنهج الغربي الوافد - أنور الجندي - ط ١ - ١٩٧٤م.
٨. الإذاعات التنصيرية الموجهة إلى المسلمين العرب - د: كرم شلي - مكتبة التراث الإسلامي - مصر.
٩. آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره - عمر رضوان - دار طيبة - الرياض - ١٩٩٢م.
١٠. الإرهاب السياسي - عبد الناصر حريز - مكتبة مدبولي - القاهرة - مصر - ط ١ - ١٩٩٦م.
١١. الإرهاب الفكري أشكاله وممارسته - جلال الدين محمد صالح - مركز الدراسات والبحوث - جامعة نايف العربية - الرياض - ١٤٢٩هـ.
١٢. الإرهاب سرطان المجتمعات المعاصرة - اللواء: عبد الرحمن بن أبكر الياسين - الرياض - السعودية.
١٣. الإرهاب والعنف السياسي - اللواء: أحمد جلال عز الدين - دار الحرية - القاهرة - مصر.
١٤. الإرهاب والعنف السياسي - د: أحمد جلال عز الدين - دار الحرية - القاهرة - مصر - ١٤٠٦هـ.
١٥. الأزمة الفكرية المعاصرة - طه جابر العلواني - المعهد العالمي للفكر الإسلامي - الولايات المتحدة الأمريكية - ط ٢.
١٦. الاستشراق - أ د: عبد العظيم الديب - دار دون للنشر والتوزيع.
١٧. الاستشراق الذرائع (النشأة - المحتوى) - د: السيد أحمد فرج - دار طويق للنشر والتوزيع.
١٨. الاستشراق في التاريخ (الإشكاليات - الدوافع - التوجيهات - الاهتمام) - د: عبد الجبار ناجي - المركز الأكاديمي للأبحاث.
١٩. الاستقامة لابن تيمية - تحقيق الدكتور: محمد رشاد سالم - مكتبة ابن تيمية.

٢٠. أسرار الماسونية - جواد رفعت اتلخان - ترجمة: نور الدين رضا الواعظ وسليمان محمد القابلي - المختار الإسلامي - القاهرة - مصر - ط ١٩٧٥ م.
٢١. أصالة الإسلام في مواجهة التحدي الفكري - العميد: محمد مهنا آل علي - ط ١٤١٨ هـ.
٢٢. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين - فخر الدين الرازي - تعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي - دار الكتاب العربي.
٢٣. أفاعي العلمانية وأحاديث الإفلك - سامي نجيب محمد - دار التوزيع والنشر الإسلامية - ط ١.
٢٤. الافتراق مفهومه وأسبابه - الدكتور: ناصر عبد الكريم العقل - دار الوطن - دار المسلم - الرياض - ط ١.
٢٥. أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تدفعوا الجزية - د: عبد الودود شلبي - الدار السعودية للنشر - السعودية.
٢٦. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أهل الجحيم - تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية - تحقيق الدكتور: ناصر بن عبد الكريم العقل - ط ١ - ١٤٠٤ هـ.
٢٧. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - أحمد بن عبد الحليم بن تيمية - الرياض - السعودية.
٢٨. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثره في هذه الأمة - د: عبد العزيز أحمد المسعود - ١٤١٤ هـ.
٢٩. أوروبا والإسلام صدام الثقافة والحداثة - هشام حفيظ - دار الطليعة - بيروت - ١٩٩٥ م.
٣٠. الإيمان لابن تيمية - تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
٣١. تاريخ الرسل والملوك لأبي محمد بن جرير الطبري - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - دار سويدان - بيروت - لبنان.
٣٢. التبشير والاستعمار في البلاد العربية - د: مصطفى الخالدي و د: عمر فروخ - المكتبة العصرية - بيروت - لبنان - ١٤١٥ هـ.
٣٣. التبصير في الدين - أبو المظفر الاسفرائيني - تحقيق: كمال يوسف الحوت - عالم الكتب - بيروت.
٣٤. تجديد الفكر الإسلامي - جمال سلطان - دار الوطن للنشر - الرياض - ط ١٤١٢ هـ.
٣٥. تجديد المنهج في تقويم التراث - د: طه عبد الرحمن - المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء - ط ٢.
٣٦. تراجم القرآن الأجنبية في الميزان - د: محمد أحمد أبو فراج - بحث مقدم في مجلة كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - العدد (٤) ١٤٠٣ هـ.
٣٧. ترجمات القرآن بين سهام المستشرقين وعنصرية الغرب - د: زينب عبد العزيز - عرض جمال عبد الناصر - القاهرة.

٣٨. تفسير النكت والعيون - أبو الحسن الماوردي - تحقيق: السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم - دار الكتب العلمية - بيروت.

٣٩. تفسير روح المعاني - أبو الثناء محمود الألوسي - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٤٠. التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته - د: علي إبراهيم النملة - مكتبة التوبة - السعودية.

٤١. التوقيف على مهمات التعاريف - محمد عبد الرؤوف المناوي - تحقيق: محمد رضوان الداية - دار الفكر - بيروت.

٤٢. الثقافة الإسلامية بين الغزو والاستغراء - دار المعارف - القاهرة - مصر.

٤٣. ثقافة المسلم بين الأصالة والتحديات - موسى إبراهيم الإبراهيم - دار عمار - عمان - الأردن - ط ١.

٤٤. الجامع لأحكام القرآن - أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - تحقيق: عبد الرزاق المهدي - دار الكتاب العربي - بيروت.

٤٥. خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية - عبد الله التل - بيروت - دمشق - لبنان - سوريا - ط ٣ - ١٣٩٩ هـ.

٤٦. درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية - تحقيق: محمد رشاد سالم - دار الكنوز الأدبية - ١٣٩٩ هـ.

٤٧. دراسات في النفس الإنسانية - محمد قطب - دار الشروق - القاهرة.

٤٨. دعوة إلى السنة منهجاً وسلوكاً - عبد الله ضيف الله الرحيلي - دار القلم - دمشق - ط ١ - ١٩٩٥ م.

٤٩. دور الإعلام المعاصر في مواجهة الغزو الإعلامي - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة قطر - ١٩٩٩ م.

٥٠. دور الإعلام في مواجهة العلمانية المعادية - عبد المجيد شكري - المنصورة - القاهرة - مصر - ط ١٤١٥ هـ.

٥١. ردود على شبهات المستشرقين - يحيى مراد - دار الكتب العلمية - بيروت.

٥٢. السر المصون في شيعة الفرمايون - الأب لويس شيخو - دار المشرق - بيروت - لبنان - ط ٢ - ١٩٩٩ م.

٥٣. سلسلة الأحاديث الصحيحة - الشيخ العلامة: ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف - الرياض - ط ٢.

٥٤. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي - تحقيق الدكتور: أحمد سعد حمدان - دار طيبة - الرياض.

٥٥. الشريعة - أبو بكر بن محمد الحسين الآجري - تحقيق: محمد حامد الفقي - مطبعة السنة المحمدية - ط ١ - ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م.

٥٦. الصحاح - إسماعيل بن حماد الجوهري - تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار - بيروت - لبنان - دار العلم للملايين.

٥٧. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة لابن القيم - تحقيق الدكتور: أحمد بن عطية الزهراني والدكتور: علي ناصر الفقيهي - السعودية.
٥٨. العلمانية - محمد قطب - دار الأفق - الرياض - السعودية - ط ١ - ١٤١١ هـ.
٥٩. العلمانيون والإسلام - محمد قطب - دار الشروق - القاهرة - ط ١ - ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
٦٠. العنف في العمل الإسلامي المعاصر - سلسلة دورية لآراء العلماء - القاهرة.
٦١. العنف من منظور اجتماعي نفسي - أ د: عبد المنعم بدر - الشارقة - ١٤١٦ هـ.
٦٢. الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر - د: محمد سيد محمد - دار الفكر العربي - القاهرة - مصر - ط ١.
٦٣. الفرق بين الفرق - عبد القاهر بن طاهر البغدادي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
٦٤. القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والقرآن - د: موريس بوكاي - جمعية الدعوة الإسلامية - طرابلس - ليبيا.
٦٥. القرآن نزوله - تدوينه - ترجمته وتأثيره لبلاشير - ترجمة: رضا سعادة، وفريد جبر - حققه: محمد علي الزغي - القاهرة.
٦٦. قضايا إعلامية معاصرة في الوطن العربي - د: عواطف عبد الرحمن - دار الفكر العربي - القاهرة - مصر - ١٩٩٧ م.
٦٧. قلاع المسلمين مهددة من داخلها وخارجها - د: محمد عبد القادر هنادي - مكتبة الطالب الجامعي - السعودية.
٦٨. الكامل في التاريخ لابن الأثير - دار الكتاب العربي - بيروت - ط ٢ - ١٩٦٧ م.
٦٩. لسان العرب - أبو الفضل جمال الدين بن منظور - دار صادر - بيروت - لبنان.
٧٠. ماذا خسر العالم الإسلامي بانحطاط المسلمين - أبو الحسن علي الحسيني الندوي - دار القلم - قطر.
٧١. الماسونية - أحمد عبد الغفور عطار - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - لبنان - ط ١٣٩٤ هـ.
٧٢. الماسونية في العراق - د: محمد علي الزعبي - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ٥ - ١٤٠٨ هـ.
٧٣. الماسونية وموقف الإسلام منها - حمود أحمد الرحيلي - دار العاصمة - الرياض - السعودية - ط ١٤١٥ هـ.
٧٤. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - جمع: عبد الرحمن بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي - مكتبة ابن العربي.
٧٥. محيط المحيط - بطرس البستاني - مكتبة لبنان - بيروت - لبنان - ١٩٨٧ م.
٧٦. مدارج السالكين لابن القيم - تحقيق: محمد حامد الفقي - دار الكتاب العربي - بيروت.
٧٧. المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها - د: عبد الرحمن عميرة - الرياض - السعودية - ط ٥ - ١٤٠٤ هـ.

٧٨. مذاهب فكرية معاصرة - محمد قطب - القاهرة - مصر - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤١٨ هـ.
٧٩. المسار الفكري للاستشراق - آصف حسين - ترجمة: مازن مطبقاني - مجلة بجامعة الإمام بن سعود الإسلامية - العدد (٧) ربيع الثاني ١٤١٣ هـ.
٨٠. المستشرقون والجدل الإسلامي المسيحي - د: عبد الحكيم بن الشريف فرحات - دار الفكر.
٨١. المستشرقون ونشر التراث - د: علي بن إبراهيم الحمد النملة - مكتبة التوبة - الرياض - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
٨٢. مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر - عبد الرحمن معلا اللويحق - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ط ١٤١٩ هـ.
٨٣. معجم الرائد - جبران مسعود - دار العلم للملايين - بيروت - لبنان - ط ٦ - ١٩٩٠ م.
٨٤. المعجم الفلسفي - جميل صليبي - دار الكتاب اللبناني - بيروت - لبنان.
٨٥. المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية - دار عمران - القاهرة - مصر - ط ٥ - ١٩٨٥ م.
٨٦. مقالات الإسلاميين - أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري - تحقيق: محمد محي الدين - بيروت - ط ١.
٨٧. الملل والنحل - محمد بن عبد الكريم الشهرستاني - دار المعرفة - بيروت.
٨٨. منهاج السنة لابن تيمية - تحقيق: محمد رشاد سالم - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - السعودية - ط ١ - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
٨٩. مواجهة الغزو الفكري ضرورة إسلامية - د: أحمد بن عبد الرحيم السايح - ط ١٤١٨ هـ.
٩٠. الموافقات في أصول الشريعة - أبو إسحاق الشاطبي - شرح: عبد الله دارز - المكتبة التجارية الكبرى.
٩١. المورد - منير البعلبكي - دار العلم للملايين - بيروت - ط ١٩٦٧ م.
٩٢. موسوعة الطيبات للعلوم والمعرفة (الفضل العظيم) - عبد الرؤوف حسن خليل - مدينة الطيبات العالمية للعلوم والمعرفة - جدة - السعودية.
٩٣. موسوعة الطيبات للعلوم والمعرفة (ملكوت الله في آيات الله) - عبد الرؤوف حسن خليل - مدينة الطيبات العالمية للعلوم والمعرفة - جدة - السعودية.
٩٤. الموسوعة المفصلة في الفرق والأديان والملل والمذاهب والحركات القديمة والمعاصرة - إعداد: مكتب التبيان - إشراف علمي: حسن عبد الحفيظ أبو الخير - دار ابن الجوزي - القاهرة - ط ١ - ٢٠١١ م.
٩٥. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة - إشراف وتخطيط ومراجعة د: مانع بن حماد الجهني - دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع - الرياض - ط ٣ - ١٤١٨ هـ.

٩٦. موسوعة علم النفس والتحليل النفسي - عبد المنعم الحفني - مكتبة مدبولي - القاهرة - مصر.
٩٧. موسوعة مقدمات العلوم والمناهج - أنور الجندي - دار الأنصار.
٩٨. النهاية في غريب الحديث والأثر - الإمام مجد الدين المبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير) - دار الفكر - بيروت - لبنان - ط ٢ - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
٩٩. واقعنا المعاصر - محمد قطب - دار الشروق - القاهرة - مصر - ط ١ - ١٤١٨ هـ.
١٠٠. الوسطية في الإسلام - محمد بن عبد اللطيف الفرفور - دار النفائس - بيروت - ط ١ - ١٩٩٣ م.

الفهرس

المقدمة

١	
٢	أسباب اختيار الموضوع
٢	أهداف البحث
٢	منهج البحث
٣	خطة البحث
٣	التمهيد: يحتوي على تعريف الحسبة - الانحراف الفكري - أهمية الحسبة في الدين الإسلامي:
٨	المبحث الأول: اعتماد مراتب الاحتساب وأثرها في القضاء على الفكر المنحرف
١١	المبحث الثاني: أشكال الاتجاهات الفكرية المنحرفة
٢٩	المبحث الثالث: أهداف ووسائل الاتجاهات الفكرية المنحرفة
٤٧	المبحث الرابع: الأسباب الرئيسية للانحراف الفكري
٥٥	المبحث الخامس: وقاية المجتمع من الانحراف الفكري
٦٣	الخاتمة

التوصيات

٦٥	
٦٧	المصادر والمراجع